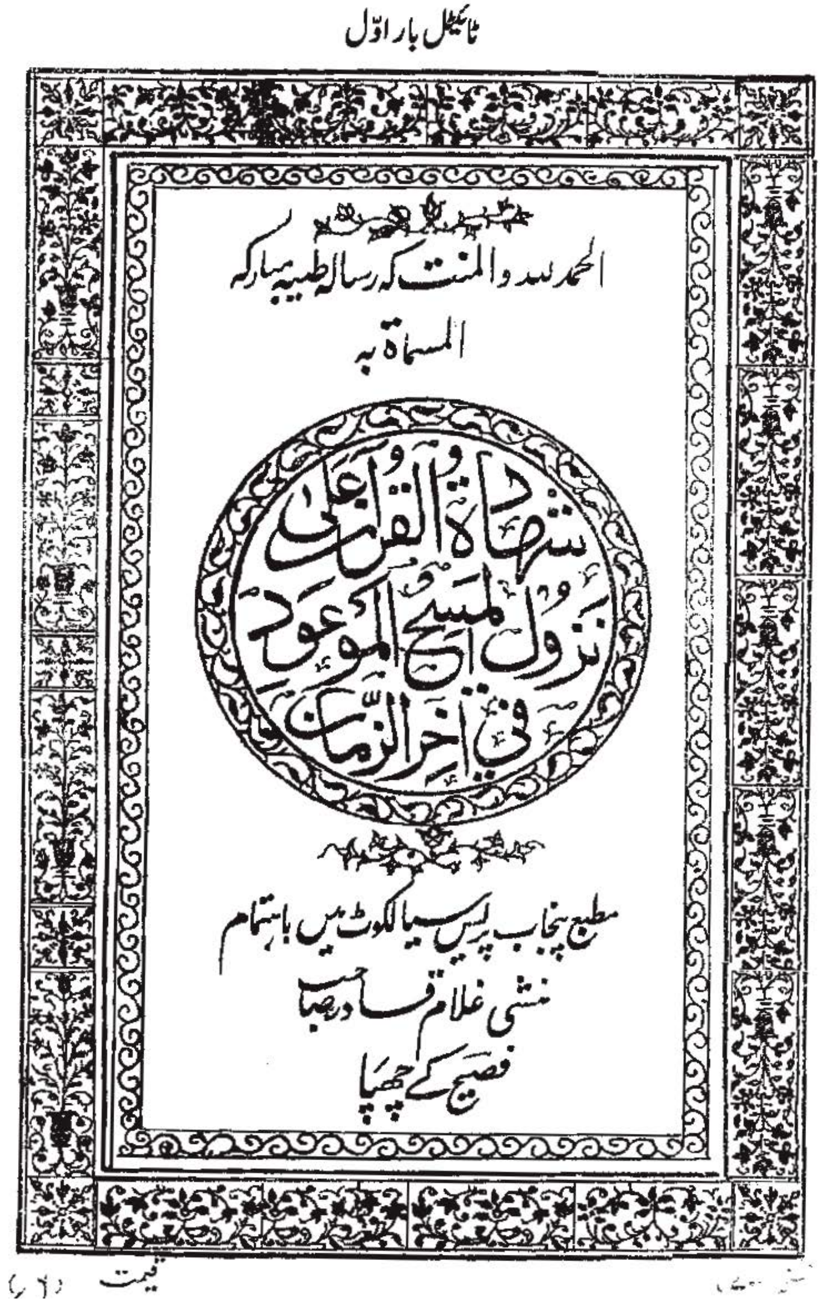
صورة صفحة الغلاف، الطبعة الأولى


ٹائیٹل بار اوّل

الحمد للہ والمنت کہ رسالہ طیبہ مبارکہ

المسماۃ بہ

شہادۃ القرآن علی نزول المسیح الموعود فی آخر الزمان

مطبع پنجاب پریس سیالکوٹ میں باہتمام

منشی غلام قادر صاحب

فصیح کے چھپا

قیمت

اشتہار کتب

اس وقت جو

اس عاجز کی تالیفات میں سے

کتابیں موجود ہیں ان کی تفصیل حسب ذیل ہے۔

حصہ چہارم براہین احمدیہ .... للعہ/

سرمہ چشم آریہ .... عمر/

فتح اسلام ۳/

توضیح مرام ۴/

ازالہ اوہام .... سے/

آئینہ کمالات اسلام .... عمر/

تفسیر سورۃ ☆ الفاتحہ معہ قصائد بزبان عربی ۶/

تحفہ بغداد بزبان عربی ۳/

برکات الدعاء ۴/

محصول ڈاک علاوہ

المشتہر

خاکسار

غلام احمد قادیانی

☆اس تفسیر کے ساتھ ایک ہزار روپیہ کا انعام ان علماء کے لئے جو اس کی نظیر بنا سکیں۔

ترجمةُ صفحة الغلاف، الطبعة الأولى

بحمد الله ومنّتـــه طُبع الكتيبُ الطيب والمبارك الذي عنوانه:

شهادة القرآن على نزول المسيح الموعود في آخر الزمان

في مطبعة "بنجاب بريس" في سيالكوت

تحت إشراف المنشي غلام قادر

إعلان عن الكتب

تفصيل الكتب المتوفرة حاليا

من مؤلفات هذا العبد المتواضع

البراهين الأحمدية، الجزء الرابع	أربع روبيات
كحل لعيون الآريا	روبيتان
فتح الإسلام	ثلاث آنات[1]
توضيح المرام	رُبع روبية
إزالة الأوهام	ثلاثة روبيات
مرآة كمالات الإسلام	روبيتان
تفسير سورة الفاتحة[2] مع القصائد العربية	ست آنات
تحفة بغداد بالعربية	ثلاث آنات
بركات الدعاء	أربع آنات
	علاوة على نفقات البريد

المعلن

العبد المتواضع

غلام أحمد القادياني

---

[1] الآنات جمع آنة وهي ١/١٦ من الروبية. (المترجم)

[2] مع هذا التفسير جائزة ألف روبية للعلماء الذين يقدرون على الإتيان بنظيره.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والسلام على عباده الذين اصطفى

المسيح الموعود

يسألني المدعو "عطاء محمد" في رسالته المنشورة في آب/أغسطس ١٨٩٣م: ما الدليل على أنك أنت المسيح الموعود، أو هل يجب علينا أن ننتظر مسيحا؟

الجدير بالذكر هنا أولا وقبل كل شيء أن المعترض يعتقد أن عيسى عليه السلام قد مات في الحقيقة كما هو مذكور في القرآن الكريم بصراحة تامة، ولكنه يُنكر أن أحدا سيأتي في الأمة باسم عيسى. هو يعتقد أن هذه النبوءة مذكورةٌ في الأحاديث، ولكنه يرى بيان الأحاديث ساقطًا عن مرتبة اليقين، ويقول بأن الأحاديث جُمعت بعد مرور زمنٍ طويل وأكثرها أحاديث آحاد، ولا تفيد اليقين. لذا فلا يرى النبأ عن المسيح الموعود- الثابتَ من الأحاديث- حقيقةً ثابتة، ويرى الأنباء المروية بواسطة الأحاديث وحدها غير ذات بال، بل لغوًا ولا دليلَ مهمًّا عليها ولا أهمية لها في نظره. لذا كان لا بد من الرد عليه في هذا المقام على قدر ذوقه. فليكن واضحًا أن هناك ثلاثة أمور جديرة بالبحث في هذه القضية.

الأول: هل النبأ بمجيء المسيح الموعود المذكورُ في الأحاديث غير جدير بالثقة لأن الأحاديث بعيدة عن مرتبة اليقين كل البُعد ولا يُنظر إليها؟

الثاني: هل ذُكر عن هذه النبوءة شيءٌ في القرآن الكريم أم لا؟

الثالث: إذا كانت هذه النبوءة حقيقة ثابتة ومتحققة فما الدليل على أنني أنا العبد الضعيف مصداقها؟

أتناول البحث الأول من هذه المباحث الثلاثة بدايةً. فليكن واضحا أنه لا يُنكر أحدٌ في هذا العالم أن نبوءة واضحة عن المسيح الموعود موجودة في

الأحاديث، بل يتفق جميع المسلمين تقريبا على أن شخصا باسم عيسى بن مريم سيأتي حتما بحسب الأحاديث الشريفة. وهذه النبوءة مذكورة بكثرة في الصحيحين والترمذي وغيرها من كتب الأحاديث، وهذا يكفي لإقناع منصف. ويضطر المرء حتما إلى الإيمان بقاسم مشترك أن مسيحا موعودا آتٍ لا محالة. مع أنه صحيح تماما أن كلّ حديث بحدّ ذاته لا يفوق مرتبة الآحاد، ولكن مما لا شك فيه أيضا أن النظرة الشاملة على أحاديث النبي التي دُوِّنت في هذا الباب بأسانيد عديدة تُثبت بالقطع واليقين ودون أدنى شك أن النبي ﷺ قد أنبأ بمجيء المسيح الموعود حتما. ثم حين نجمع الأحاديث التي عند أهل السنة والجماعة مع غيرها والتي تعتمد عليها فِرق المسلمين الأخرى مثل الشيعة وغيرهم تَثبت قوةُ هذا التواتر أكثر من ذي قبل. ثم حينما نقرأ مئات كتب المتصوفين نجدها تشهد الشهادة نفسها. ثم حين نتحرى الأمر خارج الإسلام ونقرأ كتب أهل الكتاب، أي النصارى، نجد هذا النبأ موجودا فيها أيضا. وبالإضافة إلى ذلك يتبين من حُكم المسيح عليه السلام المذكور في الإنجيل عن نزول إيليا من السماء أن الأنباء من هذا القبيل لا تُحمل على حقيقتها قط. ولكننا نجد النبأ عن مجيء المسيح الموعود منتشرا في كل زمان بقوة وشدة بحيث ليس هناك جهل أكبر من إنكار وجوده المتواتر.

الحق والحق أقول بأنه لو جُمعت من كل قرن تباعا الكتبُ الإسلامية التي تذكر هذا النبأ بالتسلسل لما قل عددها عن آلاف الكتب. غير أنه من الصعب إفهام هذا الأمر مَن كان يجهل الكتب الإسلامية كليًا. والحق أن المعترضين من هذا القبيل يكونون، لسوء حظهم، جاهلين لدرجة أنهم لا يملكون بصيرة ليدركوا القوة والشدة التي يملكهما حادث معين كدليل على ثبوته. فعلى هذا المنوال سمع هذا المعترض من أحد أن معظم الأحاديث آحاد، واستنتج من ذلك دون أدنى تأمل أن جميع مسلّمات الإسلام ما عدا القرآن الكريم إنما هي مجموعة شكوك لا أصل لها، ولا حظّ لها من اليقين والقطعية. ولكن الحق أنه خطأ كبير

وتأثيره الأول هو دمار الدين والإيمان، لأنه إذا كان صحيحا أن جميع المنقولات، سوى القرآن الكريم، عند المسلمين ليست إلا مجموعة كذب وزور وافتراء وظنون وأوهام فلربما لن يبقى من الإسلام إلا نزرٌ يسير فقط، لأن تفاصيل ديننا كافة وصلتنا بواسطة الأحاديث النبوية. فمثلا الصلاة التي نصلّيها خمس مرات يوميا، فمع أن فرضيتها ثابتة من القرآن الكريم، ولكن من أين يثبت أن لصلاة الفجر ركعتي فريضة، وركعتَي سنّة، ولصلاة الظهر أربع ركعات فريضة وأربع ركعات وركعتَي سنة، وأن لصلاة المغرب ثلاث ركعات فريضة ولصلاة العشاء أربع ركعات؟ كذلك نحتاج كليًّا إلى الأحاديث للاطلاع على تفاصيل الزكاة. كذلك هناك آلاف الجزئيات المتعلقة بالعبادات والمعاملات والعقود وغيرها، وهي معروفة لدرجة أن ذكرها هنا ليس إلا إضاعة وقت وإطالة كلام فقط. كذلك إن مبدأ التاريخ الإسلامي ومنبعه هو الأحاديث فقط. فلولا الاعتماد على بيان الأحاديث لما جاز لنا أن نقبل على وجه اليقين أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلي ﭫ كانوا في الحقيقة أصحاب النبي ﷺ الذين تقلّدوا منصب الخلافة بالترتيب بعد وفاته ﷺ، وماتوا أيضا بحسب الترتيب المذكور، لأننا إن لم نعتمد على بيان الأحاديث فليس هناك سبب لاعتبار وجود هؤلاء الصلحاء يقينيا. وفي هذه الحالة يمكن أن تكون كل تلك الأسماء افتراضية، وكأنه ما خلا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ﭫ في الحقيقة، لأن كل هذه الأحاديث آحاد بحسب زعم المعترض "عطاء محمد"، ولم تُذكر هذه الأسماء في القرآن الكريم، فكيف تُقبل إذًا بناء على المبدأ المذكور؟ كذلك لم يُذكر في القرآن الكريم قط أن اسم والد النبي ﷺ كان عبد الله، واسم أمّه آمنة، واسم جده عبد المطلب، وكذلك أن اسم إحدى أزواجه ﷺ خديجة، واسم أخرى عائشة وغيرها حفصة رضي الله عنهن، واسم مرضعه حليمة. وكذلك عبادته ﷺ في غار حِراء، وهجرة بعض الصحابة إلى الحبشة وإقامة النبي ﷺ في مكة إلى عشر سنوات بعد البعثة، واندلاع الحروب كلها

التي ليس لها في القرآن الكريم أيّ ذكر؛ بل تثبت كل هذه الأمور من الأحاديث فقط. فهل يمكن إنكار كل هذه الأحداث لأن الأحاديث ليست بشيء؟ إذا كان ذلك صحيحا لما أمكن للمسلمين أن يبيّنوا من سيرة النبي ﷺ الطاهرة شيئا.

يجب الانتباه إلى أن سلسلة سوانح سيدنا ومولانا ﷺ التي تبيِّن كيف عاش في مكة قبل البعثة، وفي أيّ عام أعلن النبوة، وبأي ترتيب دخل الناس في الإسلام، وكيف آذاه الكفار أثناء مكوثه في مكة إلى عشر سنوات، وكيف ولماذا بدأت الحروب وكم كان عددها وعدد الغزوات التي اشترك بها النبي ﷺ بنفسه، وإلى أية بلاد وصل الحُكم الإسلامي في حياته الطيبة، وهل بعث ﷺ رسائل إلى الملوك لدعوقم إلى الإسلام أم لا، وإذا كان بعثها فماذا كانت نتيجتها، وما هي الفتوحات التي حققها المسلمون في عهد سيدنا أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاته ﷺ، وما هي المشاكل التي واجهوها؟ وفي أيّ بلاد أحرز الإسلام انتصارات في عهد عمر رضي الله عنه؛ كل هذه الأمور تُعلَم بواسطة الأحاديث وأقوال الصحابة فقط. فإن لم تكن الأحاديث شيئا، فالعثور على أحداث ذلك الزمن لن يكون صعبا فقط بل سيكون من المحالات. وفي هذه الحالة تكون عند المعارضين فرصة مواتية ليفتروا بما يحلو لهم على سوانح النبي ﷺ وأصحابه، وبذلك سوف نعطي للأعداء فرصة واسعة النطاق للهجوم غير المبرر، وسنضطر إلى الاعتراف أن الأحداث والسوانح التي وصلتنا بواسطة الأحاديث كلها سخيفة وكالمعدوم لدرجة لا تثبت أسماء الصحابة أيضا على وجه اليقين.

فباختصار، إن الظن بأننا لا نستطيع أن نتوصل إلى حقيقة يقينية وقطعية بواسطة الأحاديث مرادفٌ لمحو جزء كبير من الإسلام بأيدينا. والحق أن قبول ما ذُكر في الأحاديث واجب ما لم يعارضه القرآنُ الكريم بكلمات صريحة وواضحة، لأنه من المسلَّم به أن صدق المقال هو الأمر الطبيعي للإنسان، ويكذب المرء في حالة اضطرار فقط لأنه أمر غير طبيعي بالنسبة له. ثم إنّ الطعن

في قطعية الأحاديث وتواترها التي صارت شعارا لدى فئات المسلمين المختلفة نتيجة تواتر العمل بها من حيث الاعتقاد والعمل شعبة من شعب الجنون والخبل. فمثلا إذا جادل أحد اليوم وقال إن الصلوات الخمس التي يصليها المسلمون يوميًّا عددُ ركعاتها أمرٌ ظنّي، لأنه لم يُذكر في آية من آيات القرآن الكريم مثلا أن تصلُّوا صلاة الفجر ركعتين وكلاً من صلاة الجمعة والعيدين ركعتين، وأما الأحاديث فآحادٌ لا تفيد اليقين؛ فهل يكون هذا المجادل على حق؟ إذا قُبلت مثل هذه الآراء عن الأحاديث لفلتت الصلاة من اليد أولا وقبل كل شيء، لأن القرآن الكريم لم يبيّن لنا طريقة الصلاة بل نصلّيها اعتمادًا على صحة الأحاديث. فإذا اعترض معارض أن القرآن لم يعلّم طريق الصلاة، والطريق الذي اختاره المسلمون مرفوضٌ لأن الأحاديث ليست جديرة بالثقة، فلا يسعفنا الردّ على هذا الاعتراض- بعد تمسكنا بالمبدأ القائل بأن الأحاديث ليست بشيء- إلا أن نقبله. وفي هذه الحالة ستصبح صلاة الجنازة في الإسلام أيضا باطلة ولاغية تماما لأن القرآن الكريم لا يذكر قط صلاة لا سجود فيها ولا ركوع. فتفكروا الآن ما الذي يبقى من الإسلام بعد ترك الأحاديث؟

ومن قلّة التدبر الظن بأن الأحاديث مجرّد كلام شخص أو شخصين غير جديرَين بالثقة ثم تُعَدَّ روايتهما قول رسول الله ﷺ. بل الحق أن سلسلة الأحاديث فرع من سلسلة تواتر العمل المطرَد. فمثلا رأى المحدثون أن عشرات الملايين من الناس يصلون المغرب ثلاث ركعات متوجهين إلى القبلة ويصلون الفجر ركعتين، ويقرأون الفاتحة في كل ركعة بالتأكيد، ويؤمِّنون أيضا سواء أكان جهرا أو سرا، ويقرأون "التحيات" في القعدة الأخيرة مع الصلاة على النبي ﷺ وأدعية أخرى، ثم يسلِّمون إلى كِلا الجانبين ويخرجون من الصلاة. فبالنظر إلى هذا الأسلوب من العبادة رغب المحدثون وودُّوا على سبيل البحث والتحقيق أن يوصلوا سلسلة هذا الوضع للصلاة إلى النبي ﷺ ويثبتوها بأحاديث صحيحة متصلة مرفوعة. مع أنه صحيح تماما أنهم لم يسعوا لإثبات هذه

السلسلة لتهيئة ألف سند أو ألفَين لمضمون كل حديث. ولكن هل صحيح أيضا أن المحدثين هم مَن وضع أساس الصلاة و لم تكن الصلاة موجودة في العالم قبلهم، وكان العالم يجهلها تماما، ثم بدأت بعد قرون عدة بالاعتماد على حديث أو حديثين فقط؟

فأقول بكل قوة بأنه لخطأ كبير الظنُّ أن مدار ركعات الصلاة وكيفية أدائها كان على بضعة أحاديث ليست أكثر من الآحاد في بادئ الرأي. إذا كان ذلك صحيحًا فستواجه فرائض الإسلام قبل غيرها مأتمًا شديدًا لا خلاص منه، يجب أن يفكر فيه كل مسلم غيّور قبل أي شيء. ولكن يجب أن يكون معلوما أنه لا يتبنّى هذه الفكرة إلا الذين لم يتدبروا بتيقُّظ في سوانح الإسلام وأحداثه وتقاليده وعباداته ليعلموا كيف حصلت لها مرتبة الأمور اليقينية.

فليكن واضحا أن سلسلة تواتر عمل الأمة وسيلة مثلى للوصول إلى هذا اليقين. فمثلا لو افترضنا جدلا أن الأحاديث التي يثبت منها أن عدد ركعات صلاة الفجر كذا وصلاة المغرب كذا ليست أكثر من حديث أو حديثين وليست أكثر من الآحاد في أيّ حال، فالسؤال الذي يفرض نفسه مع ذلك هو: ألم يكن الناس يصلون قبل هذا البحث والتحقيق؟ وهل أُمر الناسُ بأداءِ الصلوات بعد التحقيق في الأحاديث والاطلاع على أحوال الرواة؟ بل الحق أن عشرات الملايين من الناس كانوا يصلون على الطريقة نفسها. ولولا سلسلة إسناد الأحاديث- على سبيل الافتراض- لكان مع ذلك ثابتا بالقطع واليقين من خلال تواتر عمل الأمة أن هذا كان تعليم الإسلام المتواتر عن الصلاة وقتا بعد وقت وقرنا بعد قرن، غير أن إسناد الأحاديث المرفوعة والمتصلة جعلت تلك السلسلة نورا على نور. ولو رأينا الأحاديث من منظور هذه القاعدة لكان من الخطأ الفادح إطلاق "الآحاد" على الجزء الأكبر منها الذي يدعمه ويؤيّده تواتر عمل الأمة. الحق أن هذا هو الخطأ الأكبر الذي أبعد أتباع مذهب الطبيعة عن صدق الإسلام كثيرا، إذ يظنون أن كافة سنن الإسلام وتقاليده وعبادته

وسوانحه وتواريخه التي تؤسَّس على الأحاديث قائمة على بضعة أحاديث فقط، ولكن هذا خطأ فادح منهم. إن سلسلة التواتر العملي التي أقامها نبينا الأكرم ﷺ بيده قد انتشرت بين عشرات الملايين من الناس لدرجة أنه لو انمحى وجود المحدثين من الدنيا ولم يكن لهم أثر لما تضررت تلك السلسلة شيئا. لا بد للجميع من قبول أن هذا الـــمُعلِّم المقدَّس والرسول الطاهر ﷺ لم يجعل أمور التعليم محدودة بحيث علّمها بضعة أشخاص فقط وظل بقية الناس جاهلين بها. لو كان الأمر كذلك لفسد الإسلام لدرجةٍ ما كان له بعدها أن يُصلَح على يد محدّث أو غيره قط. مع أن أئمة الحديث دوّنوا آلاف الأحاديث عن تعليم الدين ولكن السؤال هو: أيّ حديث لم يُعمل به قبل كتابتهم إياه وكانت الدنيا غافلة عن مضمونه؟ إذا كان هناك تعليم أو حادث أو اعتقاد وضع أئمة الحديث فقط لبنته الأولى بناء على رواية، ولا يوجد له أثر في سلسلة التواتر العملي التي يعتقد بها عشرات الملايين من الناس، ولا يوجد له أدنى ذكر في القرآن الكريم فلا شك أن خبر الواحد هذا الذي عُثر عليه بعد قرن أو قرن ونصف سيكون ساقطا عن درجة اليقين إلى حد كبير، ومهما قيل عن كونه غير جدير بالثقة فسيكون في محله. ولكن الحق أنه ليس لمثل هذه الأحاديث علاقة ملحوظة مع الدين وسوانح الإسلام، بل لو تدبرتم في الموضوع لوجدتم أن أئمة الحديث لم يوردوا إلا نادرا الأحاديث التي لا يوجد لها أثر في سلسلة التواتر العملي.

إذًا، ليس صحيحا مطلقا، كما يزعم بعض الجُهال، أن الناس تعلّموا مئات المسائل الدينية الضرورية بما فيها الصوم والصلاة أيضا من أحاديث جمعها الشيخان وغيرهما. هل ظلّ الناس ملحدين إلى قرن أو قرن ونصف؟ ألم يكن الناس يصلون الصلوات؟ أما كانوا يؤدون الزكاة؟ أما كانوا يحجّون؟ وهل كانوا يجهلون جميع المعتقدات الإسلامية التي وردت في الأحاديث؟ كلا، ثم كلا، ومن ظنّ ذلك كان حمقه مثيرا لاستغرابٍ ما بعده استغراب. فلما كان الإسلام مخضرّا قبل زمن الإمامين البخاري ومسلم، وغيرهما من أئمة الحديث

أيضا كخضرته بعد تأليفاتهم فكم هو تجاسر وغباء أن يعتقد المرء بتعنت محض أن جزء الإسلام الذي سُمِّي في عصرنا الحاضر بالأحاديث قد ازدهر نتيجة روايات راجت في القرن الثاني فقط! الأسف كل الأسف أن عديمي العلم من أهل ديننا أيضا- دع عنك المعارضين- واقعون في الخطأ نفسه إذ يزعمون أن الناس جُعلوا يعتقدون كثيرا من مسائل الإسلام بعد مدة من الزمن بناء على روايات الأحاديث وحدها وكانوا يجهلونها تماما قبل تدوينها. بل الحق الصراح والبديهي هو أنه إذا كانت لأئمة الحديث على الناس منّة فهي أنهم تحققوا وبحثوا في إسناد الأمور التي كان العالم يؤمن بها منذ البداية بتواتر عملي وأثبتوا أن ما يعتقد به المسلمون في العصر الراهن أو يعملون به ليس بالأمور التي اختلطت بالإسلام الآن بدعةً، بل هي أحاديث وسيرة علّمها النبيُ ﷺ أصحابَه رضي الله عنهم.

من المؤسف حقا، وما أكبره مِن خطأ ارتكبه السطحيون إذ أساءوا فهْم هذا الأمر الواقع والصحيح! وبسبب هذا الخطأ ينظر الناس إلى الأحاديث بكُره ونفور إلى يومنا هذا. صحيح أن جزءا من الأحاديث الذي بقي خارجا عن سلسلة التواتر عملا وقولا، ولا يصدقه القرآن الكريم، لا يمكن التسليم بأنه حائز على مرتبة اليقين الكامل، لكن كيف يجوز عدُّ الجزء الآخر الذي نُقل بالتواتر العملي وحافظ عليه عشرات الملايين من الناس بعملهم وظلوا ثابتين عليه ظنيا ومشكوكا فيه؟ إن سلسلة التواتر العملي التي ظلت مشهودة بالبداهة في العالم من الأولاد إلى الآباء ومن الآباء إلى الأجداد ومن الأجداد إلى أجداد الأجداد وهكذا دواليك، وبدت آثارها وأنوارها للعيان بدءا من مبدئها الأصلي لا يمكن أن يبقى فيها مجال للشك قيد ذرة. ولا يسع المرء إلا أن يوقن أن هذه السلسلة من التواتر العملي من أعلى درجات اليقينيات. ثم ما دام أئمة الحديث قد أقاموا سلسلة أخرى إلى جانب هذه السلسلة من التواتر العملي، وأوصلوا إسناد الأمور المعمول بها إلى النبي ﷺ بواسطة الرواة الصادقين والملتزمين، فإن

الطعن فيها إنما هو من شيمة الذين ليس لهم أدنى نصيب من البصيرة الإيمانية والعقل الإنساني.

فليكن واضحا بعد هذا التمهيد أن النبوءة عن المسيح الموعود في الأحاديث ليست بالتي سجّلها أئمة الحديث فقط بناء على بضع روايات فقط، بل ثبت بكل جلاء أن هذه النبوءة ظلت تجري في عروق المسلمين اعتقادًا منذ البداية. فإن الشهادات على صحتها ظلت موجودة بقدر عدد المسلمين على وجه الأرض لأنهم ظلوا يتذاكرونها اعتقادًا منذ البداية. وأما إذا استنبط أئمة الحديث مثل الإمام البخاري وغيره من هذه النبوءة أمرا بسعيهم فليس إلا أنهم حين وجدوها معروفة عند عشرات الملايين من المسلمين ورائجة على شفاههم بحثوا بحسب المبدأ المتَّبع عندهم عن إسناد الروايات للتواتر القولي للمسلمين وأظهروها للعيان، وأثبتوا هذا الإسناد بواسطة الروايات المتصلة المرفوعة التي وُجدت مجموعة منها في كتبهم. وإلا فلا يوجد سبب معقول لهذا. وإذا كان ذلك افتراء، والعياذ بالله، فما حاجة المسلمين إليه أصلا؟ ولماذا اتفقوا عليه؟ وأيّ اضطرار أكرههم عليه؟ ثم حين نرى أن هناك أحاديث كثيرة أُنبئ فيها أن علماء هذه الأمة سيتصفون في الزمن الأخير بصفات اليهود وستتلاشى فيهم الأمانة وخشية الله والطهارة الباطنية، وستكون للديانة الصليبية غلبة جارفة، وستكون سُلطتها وسلطنتها ممتدة على العالم كله تقريبا؛ كل ذلك يمثل للعيان مزيدا من الأدلة القاطعة على صحة تلك الأحاديث لأنه مما لا شك فيه أن هذه النبوءة قد تحققت في العصر الراهن، فقد حذا علماء هذا العصر حذوَ اليهود في الحقيقة، وانتشرت سُلطة النصارى وسلطنتهم في الدنيا بصورة لا نظير لها في الأزمنة الخالية. فلما تحقق جزء من هذه النبوءة بصراحة ووضوح وبداهة فأيّ شك بقي في صدق النبأ الثاني؟

من المسلَّم به عند كل عاقل أنه إذا كان هناك حديث من الآحاد مثلا، وليس ضمن سلسلة التواتر العملي أيضا ولكنه يشمل نبوءة تحققت في موعدها

أو تحقق جزءٌ منها فلن يبقى أدنى شك في صحته. خذوا مثلا حديثا في الصحيحين عن خروج النار من أرض الحجاز، ولا شك أنه من الآحاد ولكن النبوءة المذكورة فيه تحققت بعينها بعد مرور ٦٠٠ عام تقريبا، ويعترف بتحققها الإنجليز أيضا. وتحققت في زمن كان قد مضى على تأليف تلك الكتب ونشرها مئات السنين، فهل يسع أحدا أن يقول عن مثل هذه الأحاديث بأنها ليست جديرة بالقبول على وجه اليقين لأنها من الآحاد؟ فلما تحقق صدقها كان من الغباوة الشنيعة والقبيحة أن يخطر ذلك ببال أحد.

ففكّروا على المنوال نفسه في النبوءة عن المسيح الموعود إذ قد ورد فيها أيضا صراحة تارة وإشارة تارة أخرى أن ذلك المسيح الموعود سيأتي حين تكون سلطنة النصارى وقوتهم ممتدة على أنحاء العالم ويُخترَع القطار وتُزرَع معظم بقاع الأرض، ويتوجه الناس إلى الزراعة بكثرة حتى تصبح الثيران غالية الثمن، وتكثر القنوات في الأرض ويسود الأمن والوئام من الناحية الدنيوية. فنرى أن هذه النبوءة تحققت في زمننا هذا لأن نجم السلطنة المسيحية بلغ في هذا العصر أوجه، وكأن الحكومات والسلطات الأخرى كلها كالمعدوم أمامها. وقد رأينا اختراع مركبة القطار، والقنواتِ وكثرة الزراعة بأم أعيننا. ثم فكّروا أليست في هذه النبوءة أنباءِ الغيب التي تفوق قدرة البشر؟ هل كان لأحد أن يتصور انحطاط الإسلام إلى هذه الدرجة في ذلك العصر الذي كان سيفه يقع على الكفار كالبرق؟ هل من أحد قادر على هذا النوع من الغيب ليُنبئ باختراع مركبة جديدة لم يثبت وجودها من قبل. ارفعوا نظركم وانظروا، وفكروا جيدا؛ أليست هذه النبوءة من النبوءات العظيمة التي لا يحيط علمًا بحقيقتها أو ظهورها إلا الله، ولا تخالطها مؤامرات الإنسان ومكائد الخلقِ الضعيفة؟

وليتّضحْ أن لهذه النبوءات سلسلة عجيبة، وقد ذُكرت مرصَّعَة بمعارف لطيفة ونكات دقيقة، وأمور غيبية بترتيب أبلغ وتركيب أحكَم، وليس للإنسان أن يبلغ شأنها الأعلى قط. فمثلا، قد أدلى ﷺ أولا بأنباء تتعلق بزمن ازدهار

الإسلام، وقال ضمنها: "إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ". ثم سيزدهر الإسلام بعد ذلك وينتشر ويدخل في الأقوام كلها. وقال ﷺ أيضا بأنه سيأتي على هذه الأمة زمن أخير حين يحذو معظم علمائها حذوَ اليهود وتتلاشى فيهم الأمانة والتقوى، ويصبح الإدلاء بفتاوى كاذبة والخديعة والمكائد السيئة دَيدنهم، وسيتورطون في الأطماع الدنيوية ويشبهون اليهود بشدة حتى إذا أتى أحد منهم أمّه لكان منهم من يصنع ذلك. وسينتشر النصارى في الدنيا في ذلك الزمن ويسيطرون على أمم أخرى. ويفتر حب الدين في القلوب، وسيواجه الإسلام أخطارا متتالية وغير منقطعة بسبب هبوب الرياح المسمومة. عندها تنـــزل المصائب وتكثر الآفات وتتلاشى التقوى من قلوب المسلمين. وسيكون من الأفضل أن يعيش المرء وحده ويقنعَ بحليب الشاة وألا يتوجه إلى أية فِرقة من فِرق المسلمين قط. فقال ﷺ فإذا رأيت الحال على هذا المنوال، فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ. ثم أنبأ ﷺ بمجيء المسيح الموعود في السياق نفسه وقال بأنه سيُقضى على المسيحية على يده. وقال بأنه سيكسر صليبهم، ولم يقل بأنه سيقضي على حكومتهم. وفي ذلك إشارة إلى أن سلطنة المسيح الموعود ستكون روحانية ولن تكون له علاقة بحكومات دنيوية، بل سيحارب بقوة بركاته ويخرج إلى الميدان بأسلحة خوارقه حتى يكسر رونق الصليب وعظمته، ويَفضح معتقداتِ المسيحية النحسة وعديمة البركة، لأن نوره سيلمع كالسيف ويسقط كالبرق على ظلمة الكفر حتى يفهم الباحثون عن الحق أن ذلك الإله الحي مع الإسلام.

كل هذه النبوءات تجري في الأحاديث جريان البحر الزخار، وهي مترابطة بحيث إن تكذيب إحداها يستلزم تكذيب الأخرى، والإيمان بإحداها يستلزم الإيمان بالأخرى. فهل يسع أحدا أن يشك في هذه النبوءات المترابطة والمرتبة والمحكمة والمنتظمة إلا مَن كان مجنونا أكثر من المخبولين؟ هل لعاقل أن يقبل

ولو لثانية واحدة أن ألوف هذه الأنباء التي تحتوي على أمور خارقة للعادة افتراء الإنسان؟ الحق والحق أقول إنه لا يمكن إنكار الأمور العظيمة المرتَّبة والمنظمة بحال من الأحوال، لأن إنكارها يستلزم انقلابا عظيما، ولا بد من تبديل العالَـــم.

إضافة إلى ذلك تضم هذه النبوءات في طياتها آية عظيمة أخرى تدل على صدقها وهي أن ما ذُكر فيها عن انقلابات دنيوية- وكانت أمورا غير قابلة للتحقق ظاهريا- قد تحقق كله، إذ بدأت كل آفة داخلية وخارجية تتفاقم منذ بدء القرن الثالث عشر، وكأن الدين والشوكة الإسلامية وحكومتها انقرضت إلى نهاية القرن الثالث عشر. ونزلت على دين المسلمين ودنياهم بلايا وكأن دنياهم قد تغيّرت تماما.

حين نضع في الحسبان تلك البلايا ثم نلقي نظرة على الأنباء التي أوردها الشيخان وغيرهما قبل ألف ومائة عام تقريبا ونقلاها في زمن كانت فيه شمس الإسلام في كبد السماء، وكانت حالته الداخلية تُخجل حُسن يوسف، وكانت حالته الخارجية تُخجل الإسكندر الرومي شوكة وهيبةً، تَهيج رِقَّتنا الإيمانية وتنهمر عيوننا عفويا بتذكُّر وحي النبي ﷺ الكامل والمقدس وعظمته ﷺ وجلاله وقوته القدسية. سبحان الله! ما أجمل ذلك النور الذي كُشف له قبل الأوان أي قبل ١٣ قرنا، كيف تنمو أمته وتزدهر في البداية، وتتقدم بوجه خارق للعادة، ثم تسقط في الحضيض في الزمن الأخير دفعة واحدة. وكيف يسيطر قوم النصارى على الأرض كلها في غضون بضعة قرون.

وليكن معلوما أن النبي ﷺ أنبأ أيضا عن هذا الزمن في ذكر المسيح الموعود كما هو مذكور في صحيح مسلم فقال: "وَلَيُتْرَكَنّ الْقِلاَصُ فَلاَ يُسْعَى عَلَيْهَا"، أيْ سيُلغى ركوب النوق في زمن المسيح الموعود. وكان في ذلك إشارة إلى القطار فلن تكون هناك حاجة إلى استخدام النوق بعد اختراعه. ولقد ذكر النوق لأنها كانت أكبر مطية من مطايا العرب وكانوا يحملون عليها كافة أمتعة

منـــزلهم الصغير ويركبونها أيضا. والمعلوم أن ذكر الأكبر يتضمن ذكر الأصغر تلقائيا. فكان ملخص الكلام أن في ذلك الزمن ستُخترع مطية تتغلب على النوق، وكما ترون فإن كافة المهمات التي كانت تُنجزها النوق من قبل يؤديها الآن القطار. فأيّة نبوءة يمكن أن تكون أوضح أو أجلى منها؟ لقد أنبأ القرآن الكريم عن هذا الزمن فقال: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ أي ستتعطل النوق في الزمن الأخير، وهذه أيضا إشارة صريحة إلى القطار. والمعلوم أن ذلك الحديث وهذه الآية يُنبئان نبأً واحدًا.

وما دام هذا البيان الصريح عن المسيح الموعود قد ورد في الحديث فلا بد من الاستنباط منه أن هذه الآية أيضا تنبئ عن زمن المسيح الموعود وتشير إليه إجمالا. ولكن الناس يشكّون في هذه النبوءات مع وجود الآيات البيّنات التي تلمع مثل الشمس. فعلى المنصفين أن يتأملوا الآن، أليس من الحمق المحض الشكُّ في النبوءات التي شوهدت الأمور الغيبية الكامنة فيها متحققة؟

إنني متأكد بأن ما كتبتُه إلى الآن عن النبوءة عن المسيح الموعود في ضوء الأحاديث يكفي لاقتناع شخص يجد الحق ثم لا يعارضه بغير حق. لم أنقل هنا نصوصَ الأحاديث، ولم ألخّص جميع الأحاديث أيضا، لأنها معروفة وعلى لسان جميع الناس وشفاههم، حتى الطلاب الصغار من القرى أيضا يعرفونها؛ ولو أخذتُ بتسجيل الأحاديث كلها التي وردت في هذا الباب فقد لا أفرغ منها ولو كتبت عشرة أجزاء من الكتاب. ولكني أُوجّه القراء الكرام إلى أن يقرأوا الصحاح الستة أو تراجمها بتأمل ليعلموا الكثرة والقوة البيانية لوجود مثل هذه الأحاديث.

والأمر الثاني الجدير بالبحث هو: هل ورد في القرآن الكريم عن المسيح الموعود شيء أم لا؟ ولقد حكمَت الأدلة القاطعة في ذلك أن هذا الذكر موجود في القرآن الكريم حتما. ولا شك أن الذي يتدبر في نبوءات القرآن الكريم عن المستقبل المذكورة في هذا الكتاب المقدس والمتعلقة بالزمن الأخير

لهذه الأمة فلن يكون بوسعه- إن كان فهيما وكان في صدره قلب نابض- إلا الاعتراف أنه يوجد في القرآن الكريم نبأٌ قاطع ويقيني عن مصلح ينبغي أن يكون اسمه بتعبير آخر المسيح الموعود. ولاستيعاب هذا النبأ يجب التدبر بنظرة شاملة في الآيات التالية: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ أي هدى الله امرأة أحصنت فرجها. ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ * وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾[١] ثم قال: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ[٢] * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[٣] أي ستكون كل الفِرق على تلك الحالة حتى تُفتَح يأجوج ومأجوج. وإذا رأيتم يأجوج ومأجوج غالبين في الأرض فاعلموا أن الوعد الصادق لانتشار الدين الحق قد اقترب. والوعد هو: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[٤]. أي سيظهر الحق بكل قوة وشوكة. تتلخّص كل هذه الآيات في أن أديانًا كثيرة ستنتشر في الزمن الأخير وتظهر فِرق كثيرة، عندها يخرج قومان دينهم المسيحية، وسينالون العلو من كل نوع. وإذا رأيتم انتشار المسيحية وحكومات مسيحية في العالم، فاعلموا أن الوعد قد قرب.

ثم قال تعالى في آية أخرى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ

---

[١] الأنبياء: ٩٢-٩٤

[٢] ملحوظة: سِفر حزقيال: ٣٨، و٣٩ : ٥-٦. وروضة الصفا، بيان إقليم ٤، ٥، ٦. وتفسير معالم التنـــزيل. منه.

[٣] الأنبياء: ٩٧- ٩٨

[٤] الصف: ١٠

جَمْعًا﴾[١].. أي عندما يقترب وعد الله يمزّق ﷻ الجدار الذي يمثّل عائقا ليأجوج ومأجوج. وإن وعد الله حقٌّ، بمعنى أننا سنمهِّلُ يومئذ-أيْ في زمن سلطنة يأجوج ومأجوج- الفِرقَ المختلفة ليموج بعضهم في بعض. أي كل فرقة ستوَدّ أن تجعل دينها غالبًا على غيره. وكما أن الموج حين يعلو على شيء يريد أن يسيطر عليه ويغلبه، كذلك يقع البعض على بعض كالموج للتغلّب عليه، ولن تُقَصِّرَ أية فرقة في ذلك، بل ستسعى كل منها أن ترى دينها في أوْجه. وبينما هم في هذه الـــمُشادّات ينفخ الله في الصور فيجمع كل الفِرق على دين واحد[٢]. النفخ في الصور هنا يشير إلى أن مصلحًا سيُبعث من الله تعالى بتأييدات سماوية بحسب سننه. وستُنفخ في قلبه روح الحياة فتسري في الآخرين.

اعلموا أن كلمة "الصُوْر" تشير إلى تغييرات عظيمة دائمًا، أي حين يغيّر الله تعالى خلقه من وضع إلى آخر يُعبَّر عن وقتِ تغيُّرِ الصُّوَر بهذه الطريقة بنفخ الصُّوْر. ويشعر أهل الكشف بواسطة كشوفهم وجودًا ماديًا أيضا لهذا الصوْر، وهذه العجائب من ذلك العالم ولا تنكشف أسرارها في هذا العالم إلا على المنقطعين.

على أية حال، يتبين من الآيات المذكورة آنفا أن الديانة المسيحية وسلطنتها ستغلب على الأرض في الزمن الأخير، وتثور في أمم مختلفة نزاعات دينية كثيرة.

---

[١] الكهف: ٩٩-١٠٠

[٢] الحاشية: ولا يخطرنّ ببال مَن كان قليل الخبرة أن الجحيم مذكورة بعد هذين المقامَين في هذه الآيات، وظاهر السياق يقتضي أن تكون هذه القصة متعلقة بالآخرة. ولكن يجب أن يكون معلوما أن هذا تعبيرٌ شائع في القرآن الكريم وتوجد له مئات الأمثال في هذا الكلام المقدس، حيث تُربَط قصة دنيوية بقصة الآخرة. وكل جزء من الكلام يتميز عن غيره بناء على قرائنه. والقرآن زاخر بهذا الأسلوب. خذوا مثلا معجزة شقّ القمر المذكورة في القرآن الكريم أنها كانت آية، ولكن ذُكرت معها القيامة أيضا، فبناء على ذلك قول بعض من الجهلاء معرضين عن القرائن بأن شق القمر لم يحدث، بل سيحدث يوم القيامة، منه.

وستحاول كل أمة أن تسيطر على أمة أخرى. ففي ذلك الزمن يُنفخ في الصور وتُجمع الأمم كلها على الإسلام. أي سيقوم نظام سماوي بحسب سنة الله، وسيأتي مصلح سماوي وهو المسيح الموعود في الحقيقة. ولأن النصارى يكونون بُناة الفتنة، فالهدف الأعظم عند الله تعالى يكون بأن يكسر شأن صليبهم. لذا مَن أُرسل لدعوة النصارى سمِّي المسيحُ وعيسى نظرا إلى حالة المخاطَبين. والحكمة الثانية في ذلك أنه حين ألّـه النصارى عيسى عليه السلام ونسبوا إليه مفترياتهم ونشروا في الأرض آلاف المكائد وتجاوزوا في إطراء المسيح كل الحدود، أرادت غيرة ذلك الحي الأحد الذي لا شريك له أن يُرسل سبحانه وتعالى من الأمة نفسها عبدا من عباده باسم عيسى بن مريم ويُري تجلّي قدرته ليُثبت أنّ تأْليه العباد غباوةٌ، فهو يصطفي من يشاء ويستطيع أن يرفع من يشاء من الثرى إلى الثُريا.

هنا يجب أن يكون معلوما أيضا أنه عندما يأتي مصلح عند فساد الزمان ينتشر عند ظهوره نور من السماء، بمعنى أن نورًا ينـــزل إلى الأرض بنـــزوله فيهبط على القلوب الـــمُهيّأة. عندها يرغب العالم إلى طرق الحسنة والسعادة من تلقائه بشرط استعداده. ويتوجه كل قلب إلى التحقيق والتدقيق، وفي كل طبيعة سليمة تنشأ حركة للبحث عن الحق نتيجة أسباب مجهولة. باختصار، تهبّ ريح توجِّه إلى الآخرة قلوبًا مُهيأة، وتُوقظ القوى الراقدة، ويبدو وكأن الزمن يتحرك إلى انقلابٍ عظيم. فهذه العلامات كلها تشهد أن ذلك المصلح قد بُعث في الدنيا. ثم تعمل القوى الغيبية عملها في القلوب المهيأة بقدر عظمة ذلك المصلح. فيستفيق كل ذي فطرة سعيدة ولا يدرك من أيقظه. وكل ذي جِبلّة صحيحة يجد في نفسه تغيّرا ولا يدري كيف حدث هذا التغيّر.

باختصار، تبدأ في القلوب حركة نوعا ما، ويزعم قليلو الفهم أنها نشأت من تلقائها، ولكن الحق أن هذه الأنوار تنـــزل خِفْية مع رسول أو مجدّد. فقد ثبت هذا الأمر بكل جلاء من القرآن الكريم والأحاديث كما يقول الله جلّ شأنه:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[1] . أي أنزلنا هذا النبي وهذا الكتاب في ليلة القدر...

مع أن ليلة القدر ليلة مباركة بحسب معتقد المسلمين الظاهري، ولكن الحقيقة التي كشفها الله تعالى عليّ هي أنه بالإضافة إلى تلك المعاني المسلّم بها عند القوم فإن المراد من ليلة القدر زمنٌ تنتشر فيه الظلمة في الدنيا ويسودها الظلام في كل حدب وصوب، فتقتضي تلك الظلمة بطبيعتها أن ينـــزل من السماء نور. عندها يُنـــزل اللهُ تعالى إلى الأرض ملائكته النورانيين وروح القدس بما يناسب شأن الملائكة. عندئذ تتعلق روح القدس بذلك المجدد والمصلح الذي يُؤمَر بالدعوة إلى الحق مشرَّفًا بخلعة الاجتباء والاصطفاء، أما الملائكة فيتعلقون بجميع الناس السعداء والرشيدين والمستعدين، ويجذبونهم إلى الحسنة ويوفقّونهم توفيقات صالحة، فتنتشر في الدنيا طرق السلام والسعادة. ويبقى الحال على هذا المنوال إلى أن يصل الدينُ الكمالَ المقدَّر له.

لا بد من الانتباه هنا إلى أن الله تعالى يقول في هذه السورة المباركة بكلمات صريحة وواضحة إنه حينما يأتي مصلح من الله تعالى ينـــزل إلى الأرض حتما الملائكة الذين ينشِّطون القلوب، فبنـــزولهم تنشأ في القلوب حركة وتموّج وجذب إلى البِرّ وسبيل الحق. لذا فإن الظن أن هذه الحركة وهذا التموُّج ينشأ تلقائيا بغير ظهور المصلح يعارض كلام الله المقدس ويناقض قانون الله القديم، ولا يتفوه بمثل هذا الكلام إلا الذين يجهلون أسرار الله كليا ويتبعون أوهامهم التي لا أصل لها. بل الحق أنها علامات خاصة بظهور المصلح السماوي، وهي كمثل الذرات حول تلك الشمس. لكن اكتشاف هذه الحقيقة ليس بوسع كل شخص، ولا يسع لنظرة ضبابية لشخص مادي أن تكشف هذا النور. بل الحقائقُ الدينية مدعاة للضحك في نظره، والمعارف الإلهية غباوة لديه.

[1] القدر: ٢-٦

والآيات الأخرى التي أُنبئ فيها عن علامات الزمن الأخير، أي الآيات التي أُخبر فيها أولا بانتشار الظلمة الأرضية والسماوية بقوة وشدة ثم ذُكرت علامات نزول النور السماوي، فمنها: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾[1]. أي في الزمن الأخير ستُهَزّ الأرض بهزة مهولة تناسب مقدارها، أي أن تغيّرا عظيما سيحدث في أهل الدنيا، وسيميل الناس إلى الأهواء النفسانية وعبادة الدنيا. ثم قال ﷻ: ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾، أي تظهر للعيان العلوم والمكائد والحذلقة والكمالات الأرضية، وكل ما هو مودَع في فطرة الإنسان من الكمالات الأرضية. وستُخرج الأرض التي يعيش عليها الناس جلّ خواصها، وسيُعثَرُ على مزاياها الكثيرة من خلال علوم الطبيعة والفلاحة، وتُكتشَف المناجم وتكثر الزراعة.

باختصار، تخصب الأرض وتُختَرع أصناف الأدوات حتى يقول الإنسان ما القصة؟ كيف تظهر العلوم المتجددة والفنون الجديدة والصناعات الحديثة؟ عندها تسرد الأرض أيْ قلوب الناس قصصهم بلسان حالهم أن هذه الأمور المتجددة التي تظهر للعيان ليست منا بل نوع من الوحي الإلهي لأنه ليس ممكنا أن يخلق الإنسان كل هذه العلوم الغريبة بمساعيه.

ويجدر بالانتباه أيضا أن الآيات الأخرى التي وردت في القرآن الكريم إلى جانب هذه الآيات التي تتعلق بالقيامة قد وردت بحسب سنة الله التي ذُكرت من قبل. وإلا فلا شك أن المعنى الحقيقي والأَولى لهذه الآيات هو ذلك الذي ذكرتُه أنا. والقرينة القوية والحاسمة على ذلك هي أنه لو استنبطنا من هذه الآيات المعنى الظاهري لاستلزم ذلك فسادا كبيرا. أيْ لو استنبطنا أن زلازل شديدة ستحدث وتجعل عالي الأرض سافلها، مع بقاء الكثافة السكانية في الدنيا لكان ذلك مستحيلا ومتعذّرا تماما.

---

[1] الزلزلة: ٢- ٦

لقد ورد في الآية المذكورة آنفا بكل جلاء أن الناس سيقولون: ما لها؟ فإذا كان صحيحا في الحقيقة أن الأرض ستنقلب رأسا على عقب نتيجة الزلازل الرهيبة فأين يكون الإنسان أصلا ليسأل الأرضَ؟ بل سيختفي في طيّ العدم مع الزلزال الأول. والمعلوم أن إنكار العلوم الحسية لا يمكن بأي حال، لذا فإن استنتاج المعنى الذي هو باطل بالبداهة ويعارض القرائن الموجودة ليس إلا أمرا يجعْل الإسلام عرضة للضحك وإفساح فرصة الاعتراض عليه للمعارضين.

فالمعنى الحقيقي والصائب هو ذلك الذي بيّنتُه قبل قليل. والمعلوم أن هذه التغيّرات والفتن والزلازل ظهرت للعيان في زمننا على يد قوم النصارى فقط لدرجة ما وُجد نظيرها في الدنيا قط. فهذا دليل آخر على أن هذا هو القوم الأخير الذين قدِّر على يدهم انتشار الفتن المتنوعة، والذين قاموا في الدنيا بأعمال السحر من كل نوع. وكما ورد أن الدجال سيدّعي النبوة والألوهية أيضا، فقد صدر من ذلك القوم هذان الإعلانانِ. أما ادّعاء النبوة فهو أن قساوسة هذا القوم تدخّلوا دون مبرر في كتب الأنبياء بتجاسُر متناهٍ، وكأنهم الأنبياء بأنفسهم، فحرّفوا عباراتها كما شاءوا، وألّفوا الشروح على أهوائهم وتدخّلوا في كل شيء افتراء وتجاسرًا منهم؛ أخفَوا الموجود وأظهروا المعدوم. واستنبطوا معانيَ محرَّفة بكل تحدٍّ وكأن الوحي نزل عليهم وأنهم هم الأنبياء. فتراهم دائما يجيبون عند المناظرات والمباحثات أجوبة سخيفة وبعيدة عن الصدق متعمدين وكأنهم يصنعون إنجيلا جديدا. وكذلك تدل تأليفاتهم أيضا على عيسى جديد وإنجيل جديد. لا يخشون عند قولهم الزور قط وقد نشروا بحذلقتهم عشرات الملايين من الكتب تأييدا لادّعائهم الكاذب، وكأنهم رأوا بأم أعينهم عيسى جالسًا على كرسي الألوهية.

أما ادّعاء الألوهية؛ فقد تجاوزوا الحدود من حيث التدخّل في أمور الألوهية وأرادوا ألا يبقى في السماء ولا في الأرض سرٌّ لا يصلون إلى كنهه. أرادوا أن تكون أعمال الألوهية كلها في قبضتهم، بل ليقع مفتاح الألوهية في أيديهم

بحيث يكون طلوع الشمس وغروبها أيضا تحت تصرفهم إن أمكن، وأن يتبع نزول المطر وانقطاعه حركة يدهم، وألا يكون شيئا مستحيلا أمامهم. فما معنى ادّعاء الألوهية غير ذلك؟ فهو ليس إلا أن يتدخّلوا في أعمال الألوهية وقدراتها الخاصة بها، وأن يخالج قلوبهم شوق ليحلّوا محلّ الله ﷻ بوجه من الوجوه. إن الذين يطعنون في الأحاديث المتعلقة بالمسيح الموعود والدجال عليهم أن يتدبروا في هذا المقام، أنه إذا لم تكن هذه النبوءات من الله تعالى بل من صنع الإنسان لما أمكن أن تتحقق بهذا الصفاء والجلاء. هل ذهب وهْل أحد مرة إلى أن قوم النصارى سيسعون في زمن من الأزمان لتأليه الإنسان ويقومون بافتراءاتهم إلى هذه الدرجة، ولن يتركوا لله مرتبة الخصوصية في التحقيقات الفلسفية؟

لاحِظوا ما ورد عن حمار الدجال أن بين أذنيه سبعين باعا وهذا ينطبق على القطار تماما في أغلب الحالات. وكما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف أن ركوب الجِمال سيُلغى في ذلك الزمن فترى أن القطار قد غلب جميع المطايا، وما بقيت إليها حاجة إلا قليلا جدا. ومن الممكن أن تتلاشى تلك الحاجة القليلة أيضا بعد زمن قليل. كذلك رأينا بأم أعيننا أن علماء هذه الأمة وحكماءها قد خلقوا في الدين فتنا لا نظير لها منذ زمن آدم إلى هذه اللحظة. فلا شك أنهم قد تدخّلوا في النبوة وفي الألوهية أيضا. فأيّ دليل أقوى على صحة هذه الأحاديث من تحقق النبوءة الواردة فيها. والحق أن في الآية القرآنية: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[١] إشارة إلى هذا الزمن الدجالي نفسه ويستطيع أن يفهمه كل من يملك قليلا من العقل. وهذه الآية تبين بصراحة تامة إلامَ ستتقدَّم هذه الأمة في العلوم الأرضية.

كذلك بيّن ﷻ من علامات هذا الزمن بعضَ الاختراعات والصناعات كمثال حين تُخرَج العلوم والفنون الأرضية وذلك في الآية: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ

[١] الزلزلة: ٢

مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾[١]. أي ستُمدَّد الأرضُ، أي ستُنَقَّى ويكثر عدد السكان، وتُخرِج الأرض ما فيها وتصبح خالية؛ أي تظهر للعيان جميع الملكات الأرضية كما سبق تفصيله. ثم يقول تعالى: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾[٢] أي لن تبقى في ذلك الزمن للنوق أهمية تُذكر. العِشار نوق حوامل، وهي ذات شأن وأهمية بالغة لدى العرب. والمعلوم أنه ليس لهذه الآية أدنى صلة بالقيامة، لأن القيامة ليست مقام اجتماع الجمل والناقة وحدوث الحمل بل هذه إشارة إلى اختراع القطار. وقد وضع شرط الحمل لكي يكون قرينة قوية دالة على حادث دنيوي حتى لا ينتقل الذهن إلى الآخرة. ثم قال ﷻ: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾. أي حين تكثر وسائل طباعة الكتب ونشرها. وهذه إشارة إلى كثرة المطابع ودُور البريد في الزمن الأخير. ثم قال: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، وفيها إشارة إلى العلاقات المتبادلة بين الأمم والبلاد. والمراد أن علاقات بني آدم تتقوى وتكثر في الزمن الأخير نتيجة إنشاء الطرق ونظام البريد والبرقيات، ويلتقي قوم مع قوم وتنشأ علاقات متبادلة ومعاهدات تجارية بين دول نائية، وتتقوى صلات الصداقة بينها. ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، أي عندما تُجمع الوحوش مع الناس. والمراد من ذلك أن الأقوام الوحشية تتوجه إلى التحضر، وتتحلى بالقيم الإنسانية واللباقة، ويتمتع الأراذل بالمراتب الدنيوية والعزة، ولن يبقى فرق بين الأشراف والأراذل بسبب انتشار العلوم الدنيوية وفنونها بل سيكون الأراذل غالبين لدرجة أن يكون مفتاح الثروة وزمام الحكومة في أيديهم. ومضمون هذه الآية يماثل مضمون حديث أيضا. ثم يقول تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾[٣] أي

---

[١] الانشقاق: ٤- ٥

[٢] التكوير: ٥

[٣] الانفطار: ٤

حين تنتشر القنوات في الأرض وتكثر الزراعة. ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾[١]. أي تُصنَع الشوارع للمشاة والراكبين، أو للقطار.

ثم بيّن ﷻ إضافة إلى ذلك علامات انتشار الظلمة بوجه عام، وقال: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[٢] أي يسود الدنيا ظلام شديد من الجهل والمعصية. ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ أي يتلاشى من العلماء نور الإخلاص. ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾[٣] أي حين يموت العلماء الربانيون، لأنه ليس ممكنا بحال من الأحوال أن تسقط النجوم على الأرض ويعيش الناس أيضا فيها. فليكن معلوما أن نبوءة من هذا النوع عن المسيح الموعود مذكورة في الإنجيل أيضا جاء فيها أنه سيأتي عندما تسقط النجوم على الأرض، ويتلاشى ضوء الشمس والقمر. وحمل هذه النبوءات كلها على الظاهر يخالف العقل لدرجة لا يجيز عاقلٌ أن يزول ضوء الشمس في الحقيقة وتسقط النجوم كلها على الأرض مع ذلك تبقى الأرض مأهولة وسيأتي المسيح الموعود في هذه الحالة.

ثم قال ﷻ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾[٤]. وقال أيضا: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾[٥]. وفي الإنجيل أيضا نبأ مماثل عن مجيء المسيح الموعود. ليس المراد من هذه الآيات أن السماء تنشق في ذلك الزمن في الحقيقة أو تضمحل قواها بل المراد هو أنه كما يفقد الشيءُ الممزَّق جدواه كذلك تفقد السماء فائدتها نوعا ما، ولن تنـــزل منها الفيوض والبركات، وتمتلئ الدنيا ظلمة وحلكة. ثم قال ﷻ في آية أخرى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾[٦]. أي عندما يؤتى بالرسل في الوقت المعين

[١] المرسلات: ١١

[٢] التكوير: ٢

[٣] الانفطار: ٣

[٤] الانشقاق: ٢

[٥] الانفطار: ٢

[٦] المرسلات: ١٢

والمحدد. وفي ذلك إشارة إلى مجيء المسيح الموعود، وقد أُريدَ به البيان أنه سيأتي في الوقت المناسب تماما. علمًا أن لفظ الرسل يُطلَق في كلام الله تعالى على واحد وعلى غير الرسول أيضا.

ولقد قلتُ مرارا إن معظم آيات القرآن الكريم تجمع في طياها عدة وجوه، كما هو ثابت من الحديث أن للقرآن الكريم ظاهرا وباطنا أيضا. فإذا كان المراد من هذه الآية الإتيان بالرسل يوم القيامة من أجل الشهادة فآمنّا وصدقنا، ولكن الله تعالى قد ذكر هنا أولا علامات خطيرة للزمن الأخير ثم قال في النهاية: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ فتشهد هذه القرائن البينة بصراحة تامة أنه ﷻ سيبعث أحدا من رسله بعد كمال تلك الظلمة ليُحكَم بين الأمم المختلفة. والثابت من القرآن الكريم أن تلك الظلمة سيخلقها المسيحيون، وأن ذلك المبعوث من الله سيُبعث لدعوهم وللفصل بينهم دون شك. ولهذا السبب سُمِّي ذلك الموعود عيسى لأنه بُعث للنصارى كما بُعث إليهم عيسى عليه السلام من قبل. وإن الألف واللام في الآية: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ يفيدان العهد الخارجي،أي أنّ ذلك المجدد الذي وُعد بمجيئه على لسان النبي ﷺ سيُرسَل في زمن انتشار تلك الظلمة المسيحية.

يتبين بجلاء تام من الآيات القرآنية التي كتبناها إلى الآن أنه توجد في القرآن الكريم نبوءة حتما أن المسيحية ستنتشر على نطاق واسع في الدنيا في الزمن الأخير، وسيسعى هؤلاء القوم ليمحوا الإسلام من وجه المعمورة، ولن يدَّخِروا جهدا لمصلحة دينهم بقدر ما أمكن لهم. عندها يتوجه الله تعالى لنصرة الإسلام وسيُري عند تلك الفتنة كيف يحافظ على دينه وعلى كلامه المقدس. فحينئذ ينـــزِل من السماء بحسب عادته وسنته نورٌ وسيُجذَب إليه أبناء السعادة جميعا، حتى يجتمع السعداء كلهم تحت راية دينٍ واحد.

لقد قال الله تعالى بكلمات واضحة أنه سيُنفخ في الصور عند تصاعد ضجة الحروب والمناظرات فيُجمع السعداء على دين واحد. ثم قال بأن الرسُل

سيُبعثون في وقت الظلام. فأي تصريح أوضح من أن الله جلّ شأنه بيّن أولا علامة الزمن الأخير وهي غلبة يأجوج ومأجوج أي تسلُّط الروس والإنجليز، ثم ذكر نشوء فِرق كثيرة كعلامة ثانية. ثم ذكر مناظرات تلك الفِرق كعلامة ثالثة ووقوع بعضهما على بعض كالأمواج. وذكر اختراع القطار علامةً رابعة، وبيّن وسائل نشر الكتب والجرائد مثل المطابع ونظام البرق كعلامة خامسة. وأورد العلامة السادسة أي انتشار القنوات، والعلامة السابعة: عمران الأرض وكثرة الزراعة، والعلامة الثامنة: نسف الجبال، والعلامة التاسعة: ارتقاء العلوم والفنون الجديدة، والعلامة العاشرة: انتشار الإثم والظلام، وزوال التقوى والطهارة ونور الإيمان من الدنيا، والعلامة الحادية عشرة: ظهور دابة الأرض، أي كثرة الوعاظ الذين ليس فيهم نور السماء قيد ذرة، فهم ليسوا إلا ديدان الأرض، أعمالهم مع الدجال وألسنتهم مع الإسلام، بمعنى أنهم خدام الدجال عمليا، ويُبدون صورة ممسوخة وأشكالا حيوانية، ولكن ألسنهم كالإنسان. والعلامة الثانية عشرة هي بعثة المسيح الموعود، الأمر الذي ذُكر في كلام الله تعالى بنفخ الصور على سبيل الاستعارة. والنفخ في الحقيقة نوعان: نفخ الإضلال ونفخ الهداية، كما تشير إليه الآية: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾[1]. هذه الآيات ذوات أوجه فهي تتعلق بالقيامة وبهذا العالم أيضا. كما الآية: ﴿اِعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[2]، وآية أخرى: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾[3]. تعني هذه الآيات من منطلق هذا العالم أنه سيأتي زمنان في الأيام الأخيرة، أحدهما زمن الضلال، وفي هذا الزمن يسيطر نوعٌ من الغفلة على كل شخص أرضيٍّ وسماويٍّ، أيْ على كل شقي وسعيد، إلا من وقاه الله.

[1] الزمر: ٦٩

[2] الحديد: ١٨

[3] الرعد: ١٨

والزمن الثاني سيكون زمن الهداية. فيهبّ الناسُ فجأة وهم قيامٌ ينظرون. أي ستزول الغفلة وتعمّ القلوبَ المعرفةُ ويطّلع الأشقياء على شقاوتهم وإن لم يؤمنوا.

إضافة إلى هذه الآيات هناك آيات كثيرة أخرى في القرآن الكريم تدل على هذا الزمن الأخير وبعثة المسيح الموعود، ولكن معانيها المباركة دقيقة المأخذ، لذا لا يقدر ذو الأفكار السطحية على أن يتوجه إليها، ولا يمكن للعقل البسيط أن يدرك هذه الدقائق. فمن جملتها آية: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾[1]. والمعلوم أن كلمة ﴿كما﴾ تشير إلى أن نبينا الأكرم ﷺ هو مثيل موسى كما جاء في التوراة في سِفر التثنية أن النبي ﷺ مثيل موسى. من الواضح أن المراد من المماثلة هو مماثلة تامة وليست مماثلة ناقصة، لأنه لو كان المراد هو مماثلة ناقصة لما بقيت للنبي ﷺ أية خصوصية. والسبب في ذلك أنه سيكون هناك أنبياء كثيرون تنطبق عليهم هذه المماثلة من الذين رفعوا السيف بأمر الله وقاتَلوا أيضا مثل موسى عليه السلام، وأحرزوا فتوحات أيضا بأساليب غريبة. ولكن هل يمكن أن يكونوا مصداقين لهذه النبوءة؟ كلا.

إذًا، لا يمكن أن تتحقق لنبينا الأكرم ﷺ خصوصية إلا إذا كان المراد من المماثلة هو مماثلة تامة. ومن الأجزاء العظيمة للمماثلة التامة أن الله جلّ شأنه أكرم موسى عليه السلام برسالته ثم جعل في شريعته- إكراما وإنعاما- سلسلة طويلة للخلافة الظاهرية والباطنية امتدت إلى ١٤٠٠ عام تقريبا وانتهت أخيرا بعيسى عليه السلام. وفي تلك الفترة جاء في شريعة موسى مئات الملوك وأصحاب الوحي والإلهام. ولقد ظل الله تعالى ينصر مؤيدي شريعة موسى بصورة عجيبة إذ لا تزال تلك الأمور محفوظة في أوراق التاريخ كتذكار عجيب، كما يقول جلّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾[2]. ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى

---

[1] المزمل:١٦

[2] البقرة: ٨٨

آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾[١] .... أي ما كانوا يدعون إلى الدين بالسيف بل بتواضعهم وأخلاقهم الفاضلة. ففي هذه الآية تكمن إشارة إلى أنه مع أن شريعة موسى كانت جلالية وسُفك بأمرها دماء مئات الآلاف من الناس حتى قُتل نحو أربع مائة ألف رضيع أيضا، ولكن الله تعالى أراد أن يُنهي سلسلة تلك الشريعة على الرحمة، ويخلق منهم قوما يعيدون بني آدم إلى الصراط المستقيم بالعلم والخُلق وبقوتهم القدسية فقط لا بالسيف.

فلما كان تحقُّق المماثلة في الإنعامات ضروريا- والمماثلة التامة لا تتحقق إلا إذا تحققت في الإنعامات- لذا حدث أنه كما أُعطي موسى خُداما لشريعته إلى ما يقارب ١٤٠٠ عام كانوا رسُلا وملهَمين من الله، وانتهت تلك السلسلة برسول دعا إلى الحق بالرحمة والخُلق الحسن فقط وليس بالسيف، كذلك أُعطي نبينا الأكرم ﷺ خداما كانوا ملهَمين ومحدَّثين بحسب منطوق الحديث الشريف "علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل". وكما أُرسل عيسى عليه السلام- في نهاية مدة شريعة موسى- الذي ما دعا إلى الحق بالسيف بل بالخُلق والرحمة فقط، كذلك أرسل الله تعالى لهذه الأمة المسيح الموعود ليدعو هو أيضا إلى الصراط المستقيم بالخُلق والرحمة والأنوار السماوية فقط. وكما جاء المسيح الناصري بعد موسى عليه السلام بنحو ١٤٠٠ عام تقريبا كذلك ظهر هذا المسيح الموعود أيضا على رأس القرن الرابع عشر وبذلك تحققت المماثلة التامة بين السلسلة المحمدية والسلسلة الموسوية.

وإذا قيل بأنه قد جاء الأنبياء في سلسلة موسى لنصرة الدين، وكان المسيح أيضا نبيا. فجوابه أن الأنبياء والمحدَّثين يحتلون المنصبَ نفسه من حيث كونهم مرسَلين. وكما أطلق الله تعالى"المرسَلين" على الأنبياء كذلك أطلق "المرسَلين"على المحدَّثين أيضا. وللإشارة إلى هذا الأمر جاء في القرآن الكريم:

---

[١] الحديد: ٢٨

﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾[١]، ولم يردْ "قفينا من بعده بالأنبياء". ففي ذلك إشارة إلى أن المراد من الرسُل هم المرسَلون سواء أكانوا رسُلا أو أنبياء أو محدَّثين. ولما كان سيدنا ومولانا ورسولنا الأكرم ﷺ خاتَم الأنبياء ولن يأتي بعده ﷺ نبي، لذا جُعل المحدَّثون في هذه الشريعة ينوبون عن النبي. هذا ما تشير إليه الآيتان: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾[٢]. ولأن كلمة "ثُلَّة" جاءت في كلتا الآيتين فثبت على وجه القطع واليقين أن المحدَّثين في هذه الأمة يماثلون المرسَلين في أمة موسى من حيث عددهم وسلسلتهم الطويلة. وإلى هذه الحقيقة أشير في آية أخرى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[٣].

تأملوا في هذه الآية تروا فيها أيضا إشارة صريحة إلى المماثلة. وإن لم يكن المراد من هذه المماثلة هو مماثلة تامة لكان الكلام كله عبثا ولغوا، لأن سلسلة الخلافة في شريعة موسى امتدت إلى ١٤٠٠ عام وليس إلى ثلاثين عاما فقط، وجاء فيها مئات الخلفاء روحانيا وظاهريا، ولم تمتد إلى أربعة خلفاء ثم انقطعت إلى الأبد.

وإذا قيل بأن كلمة "منكم" تقتضي أن يكون الخلفاءِ من الصحابة فقط لأن "منكم" تخاطبهم فقط دون غيرهم، فإن هذه الفكرة خاطئة بالبداهة، ولن يتفوه بمثل هذا الكلام إلا الذي لم يتدبر في القرآن ولم يعرف أساليب كلامه، لأنه إذا كان صحيحا أنه لا يراد عند المخاطبة إلا من كانوا أحياء في ذلك الزمن بصفتهم مؤمنين فإن ذلك يؤدي إلى قلب القرآن كله رأسا على عقب. فمثلا

---

[١] البقرة: ٨٨

[٢] الواقعة: ٤٠- ٤١

[٣] النور: ٥٦

هناك آية أخرى في القرآن الكريم تشبه الآية المذكورة آنفا وتخاطب بكلماتها الظاهرية أناسا آمنوا بموسى عليه السلام وكانوا أحياء في ذلك الزمن، بل توجد في الآيات المشار إليها قرائن قوية جدا توحي أن هؤلاء كانوا المخاطَبين فيها في الحقيقة، والآيات المشار إليها هي: ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ * قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[١].

لقد خوطب في هذه الآيات بصراحة تامة أناس من قوم موسى كانوا أحياء بين ظهرانيه، وقد شكوا مظالم فرعون وقالوا: ﴿أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ فقال موسى مخاطبا إياهم، عليكم أن تصبروا على هذه المصائب: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾. ولكن واضح للمؤرخين، ويعرف دارِسو كتب اليهود والنصارى جيدا أنهم لم يصلوا في الأرض إلى سدة الخلافة، سواء المادية أو الروحانية- مع أنّ عدوهم أي فرعون هلك أمام أعينهم بل أُهلِك معظمهم نتيجة عصيانهم وتمردهم إذ هلكوا بعد أن ظلوا تائهين إلى أربعين عاما في الفلوات الجرداء والبراري القفراء. ثم بدأت بعد هلاكهم سلسلة الخلافة في ذريتهم فكان فيهم كثير من الملوك وكان خلفاء الله مثل داود وسليمان عليهما السلام في القوم نفسه حتى انتهت سلسلة الخلافة في القرن الرابع عشر على المسيح عليه السلام.

فمن الواضح أن مخاطبة القوم لا يستلزم قط أن يبقى الخطاب مقصورا عليهم وحدهم، بل من أسلوب القرآن أيضا أنه كثيرًا ما يخاطب قوما ولكن المخاطَب الحقيقي هم أناس خلوا أو سيأتون في المستقبل. فمثلا يقول الله جلّ شأنه في سورة البقرة مخاطبا اليهود الموجودين آنذاك: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ

[١] الأعراف: ١٢٨-١٣٠

الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[1]. من الواضح أن اليهود الموجودين في زمن النبي ﷺ كانوا مصداقا لـــ ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾، وما أُنعِم عليهم بشيء، ولم يؤخَذ منهم عهدٌ أن يؤمنوا بخاتَم الأنبياء. ثم يقول تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾[2]. فلا بد من التأمل هنا أن اليهود الموجودين في زمن النبي ﷺ لم يواجهوا أيا من الأحداث المذكورة في هذه الآيات، وما أُوذوا على يد فرعون ولم يقتُل أحدٌ أولادَهم ولم يعبروا بحرا. ثم يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾[3]. معلوم أن موسى توفِّي قبل ألفَي عام من وجود اليهود الذين خوطبوا في القرآن الكريم، ولم يكن لهم أدنى أثر في زمن موسى، فأنّى كان لهم أن يسألوا موسى؟ أين سقط عليهم البرق وأين أكلوا المنّ والسلوى؟ هل كانوا موجودين من قبل في زمن موسى عليه السلام في قوالب أخرى ثم جاءوا في زمن النبي ﷺ تناسخا؟ وإن لم يكن الأمر كذلك فماذا نستطيع القول إلا أن نؤوِّل أنه ليس ضروريا أن يكون المخاطَبون الموجودون عند الخطاب هم المصداق الحقيقي للأحداث المذكورة في الخطاب. الأسلوب المتّبَع في كلام الله والأحاديث النبوية الشريفة هو أنه كثيرا ما يُنسَب إلى شخص أو قوم حادثٌ وتكون له في الحقيقة علاقة بشخص آخر أو قوم آخرين. وإن نبأ مجيء عيسى بن مريم أيضا من هذا الباب، لأنه قد نُسب في بعض الأحاديث إلى عيسى عليه السلام حادثٌ سيحدث في الزمن الأخير

[1] البقرة: ٤١

[2] البقرة: ٥٠- ٥١

[3] البقرة: ٥٦- ٥٨

مع أنه قد توفِّي من قبل. إذاً، فقد نُسب هذا الحادث أيضا إلى المسيح عليه السلام كما نُسب حادث النجاة من فرعون وأكل المن والسلوى ونزول الصاعقة وعبور البحر، وقد نُسبت قصة: ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ إلى اليهود الذين كانوا في زمن نبينا الأكرم ﷺ مع أن تلك الأحداث كانت تتعلق بقومهم الذين سبقوهم وماتوا قبلهم بمئات السنين. فإذا كان هناك أحد لا يتوجه إلى الجانب العقلي عند استنباط المعنى من هذه الآيات ويرى الإصرار على ظاهر الكلمات واجبا فأقل ما سيثبت من هذه الآيات هو أن مسألة التناسخ حقٌّ، وإلا فكيف يمكن أن ينسب الله عمل عامل إلى شخص لا علاقة له به قط، وهو القائل: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[١]؟ ثم إذا عصى موسى قومُه وأخذهم الصاعقة، أو عبدوا العِجل ونزل عليهم رجز من الله، فما علاقة قوم وُلدوا بعد ألفَي عام من هذه الأحداث؟ لا شك أن المتقدمين منذ زمن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا بمنـــزلة الآباء والأجداد للمتأخرين ولكن لا يمكن أن يُلقى وبال ذنب أحد على غيره. فكيف يمكن أن يكون لقول الله تعالى في القرآن الكريم- بأنكم عصيتم موسى وقلتم لن نؤمن بالله ما لم نره بأعيننا، وبسبب هذه المعصية أخذتكم الصاعقة- معنى آخر من حيث ظاهر الكلمات إلا أن نقول بأن جميع اليهود الذين وُجدوا في زمن نبيناﷺ كانوا موجودين في زمن موسى عليه السلام أيضا، وعليهم نزل المنّ والسلوى، وعليهم سقط البرق، ومن أجلهم أُهلك فرعون، ثم وُلد اليهود أنفسهم في زمن النبي ﷺ مرة أخرى تناسخا وبذلك صحّ الخطاب؟

والسؤال هو: لماذا لا يُستنبَط المعنى البسيط والسليم؟ هل هو بعيد عن قدرة الله؟ ولماذا تُقبل معانٍ تدخل في حكم التأويلات البعيدة؟ أليس الله قادرا- كقدرته على إنزال عيسى عليه السلام إلى الأرض بجسده المادي تماما بعد مئات السنين كما يزعم معارضونا- على أن يحيي اليهودَ من زمن موسى مرة أخرى

[١] الإسراء: ١٦

في زمن النبي ﷺ أو أن يأتي بأرواحهم إلى الدنيا تناسخا؟ فلمّا قُبلت بناء على أقوال لا أصل لها عودة روح عيسى إلى الدنيا ثانية، فلماذا لا تُقبل عودة أرواح هؤلاء اليهود جميعا إلى الدنيا ثانية تناسخاً في زمن نبينا الأكرم ﷺ، مع أن نصوص القرآن الصريحة والبينة تشهد على وجودهم؟ يقول الله ﷻ بوضوح تام: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾[1].

هناك نقطة دقيقة أخرى في هذه الآية وهي أنه لما لم يجعل الله تعالى اليهود الموجودين حاليا لينوبوا عن أناس سبقوا بل اعتبرهم في الحقيقة أناسا خلوا من قبل، ففي هذه الحالة أطلق القرآن الكريم على اليهود الموجودين في عهد النبي ﷺ الميمون اسم بني إسرائيل الذين سبقوا لأنهم لـمَّا اعتُبروا كأنهم هم صار لزاما أن تكون تسميتهم أيضا هِيَ هِيَ. والسبب في ذلك أن الأسماء هي للحقائق كمثل صفات لا تنفك. والمعلوم أن الصفات اللازمة لا تنفك عن حقائقها قط.

الآن تفكّروا بانتباه جيد أنه ما دام الله تعالى قد قال بكل وضوح وصراحة مخاطبا اليهودَ الموجودين في زمن النبي ﷺ بأنكم أنتم الذين ارتكبتم سيئات كذا وكذا في عهد موسى، فكم هو تجاسر وإجحاف كبيرٌ تأويلُ نصٍّ واضح مثله وإنزالُ عيسى عليه السلام الذي مات بحسب القرآن الكريم على الأرض بناء على الأحاديث!!

أيها الأعزة، إذا كان من عادة الله وسنته أن يعيد إلى الدنيا أناسا خلَوا، فلا يجوز الإعراض قط عن النص القرآني الذي يخاطب الذين خلَوا بالتكرار ويشهد على حياتهم. وإذا انتابت القلوب في هذا المقام شبهة أن هذا المعنى يخالف المعقول- إن لم يكن بعيدا عن قدرة الله- يُلجأ إلى التأويل ويُستنبَط منه معنى لا يُستبعَد عقليا؛ ففي هذه الحالة يجب أن يُستنبط من النبوءة عن مجيء عيسى

[1] البقرة: ٥٦

عليه السلام معنى يجري على المنوال نفسه، لأنه إذا كانت عودة اليهود السابقين إلى الحياة في زمن النبي أو عودة أرواحهم على سبيل التناسخ يعارض المعقول فكيف يجوز إذًا أن يعود إلى الدنيا المسيح عليه السلام الذي تشهد على وفاته بصوت عال الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[1]؟ هل عودة أرواح اليهود إلى الدنيا ثانية بعيدة عن قدرة الله وتخالف المعقول ونزول عيسى عليه السلام إلى الدنيا بجسده المادي معقول جدا؟ إذا جاز تأويل الآيات القرآنية البينة والصريحة نظرا إلى استبعاد معناها الظاهري ويُلجأ إلى أسلوب الصرف عن الظاهر، فلماذا لا يجوز صرف النصوص الحديثية عن ظاهرها؟ هل للأحاديث شأن أعظم من القرآن الكريم لذا لا بد من قبول بيانها حملا على ظاهر الكلمات دائما مهما كان بعيدا عن العقل والفهم، أما القرآن الكريم فيجب تأويله؟

أقول عودةً إلى صلب الموضوع بأن بعض الناس ينكرون عموم الآية: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ويقولون بأن المراد من "منكم" هم الصحابة فقط، والخلافة الراشدة الحقة انتهت في زمن الصحابة، ولن يكون بعدهم للخلافة في الإسلام أيّ أثر إلى يوم القيامة، وكأن فترة الخلافة كانت إلى ثلاثين عاما فقط ثم قضت كطَيْف أو كحُلم ثم أصابت الإسلام نحوسة مستديمة لن تنتهي. أتساءل: هل يسع شخصا ذا قلب نقي أن يتبنّى اعتقادا أن بركة شريعة موسى عليه السلام وزمن خلافته الراشدة امتد إلى ١٤٠٠ عام دون أدنى شك، أما النبي الذي هو أفضل الرسل وخير الأنبياء وفترة شريعته ممتدة إلى يوم القيامة فقد اقتصرت بركاته على زمنه فقط، ولم يُرد الله أن تتراءى للعيان نماذج بركاته الروحانية إلى فترة ملحوظة بواسطة الخلفاء الروحانيين؟ الحق أن أبداننا لترتعد لسماع مثل هذا الكلام. ولكن من المؤسف حقا أن الذين يتفوّهون بمثل هذه الكلمات المسيئة

---

[1] المائدة: ١١٨

بتجاسر ووقاحة متناهية هم أيضا يسمَّون مسلمين ويعتقدون بحسب زعمهم أن بركات الإسلام لا تمتد إلى المستقبل بل انقطعت منذ مدة طويلة!

وبالإضافة إلى ذلك فإن الاستدلال من كلمة "منكم" أن الخلافة مقصورة على الصحابة لأنّ الخطاب فيها موجَّه إليهم وحدهم ينمّ عن عقلية غريبة. إن تفسير القرآن بهذه الطريقة بمنـــزلة خطوة سَبَقٍ على اليهود أيضا. فليكن واضحا هنا أن كلمة "منكم" قد وردت في القرآن الكريم نحو ٨٢ مرة، وفي كل مرة- ما عدا مرتين أو ثلاث مرات حيث وردت قرينة معينة- خوطب بها جميع المسلمين الذين سيأتون حتى يوم القيامة.

وفيما يلي ننقل على سبيل المثال لا الحصر بعض الآيات التي وردت فيها كلمة "منكم":

(١) ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[١]. فكّروا في هذا المقام هل هذا الحكم كان خاصا بالصحابة فقط، أو يشمل المسلمين الآخرين أيضا الذين سيأتون حتى يوم القيامة؟ كذلك يجب أن تتأملوا في الآيات التالية أيضا:

(٢) ﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[٢].

(٣) ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾[٣]

(٤) ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[٤]

(٥) ﴿أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾[٥]

---

[١] البقرة: ١٨٥

[٢] البقرة: ٢٣٣

[٣] البقرة: ٢٣٥

[٤] آل عمران: ١٠٥

[٥] آل عمران: ١٩٦

(٦) ﴿لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾[١]

(٧) ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾[٢]

(٨) ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٣]

(٩) ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٤]

(١٠) ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾[٥]

(١١) ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾[٦]

(١٢) ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾[٧]

تأمّلوا الآن في كلمة "منكم" في كل من هذه الآيات تروا أنها عامة وتشمل المسلمين جميعا سواء أكانوا موجودين عند نزولها أم الذين سيأتون إلى يوم القيامة. كذلك جاءت في جميع الآيات الأخرى أيضا بمعنى عامٍّ ما عدا آيتين أو ثلاث آيات. والخطاب في كافة الأوامر موجّه إلى الصحابة فقط في الظاهر، ولكن تخصيص الصحابة بغير إقامة قرينة لا يجوز بأي وجهٍ. وإلا يستطيع كل فاسق أن يقدم عذرا أن كل الأحكام المتعلقة بالصوم والصلاة والحج والتقوى

---

[١] النساء: ٣٠

[٢] المائدة: ٧

[٣] النساء: ٦٠

[٤] الأنعام: ٥٥

[٥] البقرة: ٨٦

[٦] مريم: ٧٢

[٧] الحجر: ٢٥

والطهارة واجتناب المعاصي كانت موجَّهة إلى الصحابة فقط وبالتالي ليس ضروريا لنا أن نلتزم بالصلاة والصوم والزكاة وغيرهما. والمعلوم أن هذه الكلمات لا يمكن أن يتفوّه بها مَن يخشى الله، بل الزنديق.

وإذا انتابت أحدا شبهة أنه إذا كانت الآية: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ تفيد العموم، بمعنى أن المقصود الحقيقي منها العموم وليس التخصيص فلماذا أُضيفت هنا كلمة "منكم"؟ وما الحاجة إلى هذه الإضافة أصلا؟ إذ كان في القول: "وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم"، كفاية. فجوابها أن هذا الوعد جاء مقابل المؤمنين والصالحين الذين خلَوا قبل هذه الأمة. إذًا، فتفصيل الآية هو أن الله تعالى جعل المؤمنين والصالحين قبلكم الذين كانوا يكسبون الأعمال الصالحة مع إيمانهم خلفاء في الأرض. وهنا يعِد ﷻ أنه سيجعل منكم أيضا خلفاء من الذين يتحلّون بتلك الصفات الحسنة ويكسبون الصالحات مع إيمانهم. إذًا، فإن كلمة "منكم" ليست زائدة، بل وردت لتشير إلى المؤمنين والصالحين من المسلمين لأن كلمة المؤمنين والصالحين في هذه الآية تشمل المؤمنين والصالحين من الأمم السابقة ومن هذه الأمة أيضا، فلو لم تكن هناك كلمة تخصيص لصارت العبارة ركيكة ومبهمة وبعيدة عن الفصاحة. وقد أُريدَ البيان أيضا من خلال كلمة "منكم" أن الذين كانوا مؤمنين وصالحين هم الذين جُعلوا الخلفاء من قبل، كذلك سيُجعل الخلفاء من بينكم أيضا الذين هم مؤمنون وصالحون. فإذا كانت الأعين تملك بصيرة فسترى أن كلمة "منكم" ليست إضافيةً قط من حيث المعنى العام، وليس ذلك تكرارا للكلام أيضا. وما دام الإيمان لم يبدأ من هذه الأمة ولا الأعمالُ الصالحة، بل خلا المؤمنون والصالحون من قبل أيضا، لم يكن التمييز التام ممكنا دون استخدام كلمة "منكم". ولو اقتصر الكلام على: "وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات" فقط لما تبيّن مَن هم المؤمنون المذكورون في هذه الآية، أمِنْ هذه الأمة أم من الأمم السابقة؟ ولو ورد "منكم" فقط دون ذكرِ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا

مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لفُهم من ذلك أن الفاسقين والطالحين أيضا يمكن أن يكونوا خلفاء الله، مع أن حُكم الفاسقين وسلطنتهم تكون ابتلاء وليس اصطفاء. وخلفاء الله الصادقين، سواء أكانوا روحانيين أم دنيويين يكونون من المتقين والمؤمنين والصالحين دائما.

أما الشبهة أن الآية الأخيرة من هذه الآيات أي: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ تصبح لغوا من حيث المعنى العام؛ فكرة سخيفة للغاية تبعث على الضحك، لأن المعنى الواضح والبين للآية هو أن الله جلّ شأنه بشّر أولا بوجود الخلفاء ثم هدَّد المتمردين والعصاة قائلا بأنه إذا عصى أحد بعد وجودهم- لأنهم سيظلون يأتون بين الفينة والفينة- وأعرض عن طاعتهم وبيعتهم كان فاسقا. فأين الخطأ في المعنى إذًا؟

وليكن واضحا أن الحديث الذي قال النبي ﷺ فيه: "من لم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة الجاهلية" يطابق هذه الآية تماما. أيْ من لم يعرف إمام الزمان كلما جاؤوا في مختلف الأزمان كان موته شبيها بموت الكفار. أما تقديم المعترض آية: ﴿قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[1] والاستنتاج منها أن "منكم" وردت فيها بحق الحاضرين فقط بوجه خاص، فهو قول لا معنى له لأني قد كتبتُ من قبل أن من الأسلوب الشائع في القرآن الكريم والذي يزخر به القرآن هو أن الخطاب يكون عاما وتكون أوامره موجَّهة إلى الأمة بأكملها وليس للصحابة فقط، إلا إذا كانت في مكان ما قرينة واضحة وصريحة تحدد الخطاب فهو استثناء من هذه القاعدة. إذًا، فقد طلبت فئة معينة من الحواريين بحسب الآية المذكورة نزول المائدة، وجاء الجواب مخاطبا تلك الطائفة بالذات. فهذه قرينة كافية على أن طائفة معينة سألت وقد رُدَّ عليها بالتحديد. أما القول بأن الأمثلة على هذه الظاهرة كثيرة في القرآن الكريم فهو كذب صريح ومخادعة. لقد

[1] المائدة:١١٦

وردت كلمة "منكم" نحو ٨٢ مرة في القرآن الكريم، وجاء الخطاب في سياقات أخرى نحو ٦٠٠ مرة. ولكن الخطابات المحتوية على الأوامر تفيد العموم في كل مرة. لو كانت الخطابات في القرآن الكريم مقصورة على الصحابة فقط لبطل القرآن مع وفاتهم. والآية المتنازع فيها والمتعلقة بالخلافة تشبه آية أخرى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1]، فهل هذه البشرى كانت تخص الصحابة فقط، أم كان لغيرهم أيضا نصيب منها؟ أما قول المعترض بأن الذي يعدل عن المعنى الأصلي الخاص بالمخاطبين، ويستنبط معنى آخر فمن واجبه أن يثبت سبب عدوله بدليل قاطع، فيتبين من قوله هذا أنه لا يجهل أسلوب القرآن الكريم فحسب بل يجهل أيضا أسلوب جميع الكتب الإلهية تماما. المشكلة أن معظم المتسرعين يستعدون للاعتراض قبل التفكير الرصين. لو كان المعترض راغبا في التحقيق بنية سليمة لتأمل في جميع المقامات التي خوطب فيها الصحابة ظاهريا ليرى ما هو الأسلوب المتّبَع في القرآن الكريم في أغلب الحالات حيث لم توجد القرينة. إذ من الواضح أنه لا بد من استنباط المعنى بحسب الأسلوب المتَّبَع في أغلب الحالات، والعدول عنه بغير قرينة لا يجوز قط.

من الواضح أن الأسلوب المتداول في القرآن الكريم لخطاب الحاضرين هو العموم، ولهذا السبب تُعتبَر أوامر القرآن الكريم الستمائة عامةً غير مقصورة على الصحابة فقط. والذي يعدل عن الأسلوب العام ويحسب أمرا من الأوامر منحصرا في الصحابة فقط فعليه تقع مسئولية الإثبات بالقرائن القوية أن هذا الخطاب المعين خاص بالصحابة وحدهم، والآخرون خارجون عن نطاقه. فمثلا يقول الله تعالى في القرآن الكريم موجِّها الخطاب إلى الصحابة ظاهريا: (١) اعبدوا الله وحده، (٢) استعينوا بالصبر والصلاة، (٣) كلوا من الطيبات، (٤) لا تفسدوا في الأرض، (٥) آتوا الزكاة، (٦) أقيموا الصلاة، (٧) اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، (٨) فاستبقوا الخيرات، (٩) اذكروني أذكركم، (١٠)

---

[1] يونس: ٦٥

واشكروا لي، (١١) ادعوني، (١٢) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ، (١٣) ولا تدعوا مَن ألقى إليكم السلام كافرا ملحدا (١٤) كلوا مما في الأرض حلالا طيبا، (١٥) لا تتبعوا خطوات الشيطان، (١٦) كُتِب عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ (١٧) فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ، (١٨) لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ، (١٩) اتقوا الله لعلكم تفلحون، (٢٠) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ (٢١) وَلَا تَعْتَدُوا، (٢٢) وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، (٢٣) وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، (٢٤) وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ، (٢٥) وَأَحْسِنُوا إلى الناس إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٢٦) وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلهِ، (٢٧) وَتَزَوَّدُوا- ففي الزاد حكمة أنكم لن تضطروا إلى السؤال، أي أن السؤال مذلة، فيجب أن تدبِّروا لتفادي الذلة، (٢٨) ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ والإسلام كَافَّةً، (٢٩) ولَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ (٣٠) وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا، (٣١) وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ، (٣٢) وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ، (٣٣) وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ، (٣٤) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، (٣٥) وإذا طلقتم النساء... سرّحوهن بمعروف، (٣٦) فَإِنْ خِفْتُمْ فَصَلّوا رِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا، (٣٧) إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، (٣٨) إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ، (٣٩) وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا، (٤٠) وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ، (٤١) وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ، (٤٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، (٤٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، (٤٤) سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، (٤٥) لَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ، (٤٦) فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا.

هذه بعض الأحكام التي نقلتها على سبيل المثال لا الحصر. ويستطيع أن يفهم منها كل من لديه شيء من العقل أن الخطاب في كل هذه الآيات موجَّه ظاهريا إلى الصحابة، ولكن الحقيقة أن كافة المسلمين مأمورون بالعمل بها وليس الصحابة فقط.

فباختصار، إن أسلوب القرآن الكريم الشائع الذي يزخر به القرآن الكريم كله هو أن مخاطَبيه الحقيقيين هم جميع المسلمين الذين سيأتون إلى يوم القيامة، وإن كان الخطاب يبدو عائدا إلى الصحابة ظاهريا. إذاً، فالذي يدّعي أن هذا الوعد أو الوعيد مقصور على الصحابة فقط فإنه يعدل عن أسلوب القرآن الشائع. وهو ملحد في اختياره هذا السبيل ما لم يُثبت ادّعاءه. هل نزل القرآن للصحابة فقط؟ لو كان القرآن مقصورا في وعوده ووعيده وجميع أحكامه على الصحابة فقط لما كانت للذين وُلدوا بعدهم أدنى علاقة مع القرآن، نعوذ بالله من هذه الخرافات.

أما القول بأنه قد ورد في الحديث: "الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً" فهو فهمٌ غريب لأنه مادام القرآن الكريم يقول: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾[1] فلا أدري أيّ نوع من العقل تقديم الحديث مقابله وعدُّ معناه معارضا للقرآن؟ إذا كان لا بد من الاعتماد على بيان الأحاديث فيجب العمل أولا بالأحاديث التي تفوق هذا الحديث كثيرا صحةً وثقةً. منها مثلا أحاديث في صحيح البخاري أُنبئ فيها عن بعض الخلفاء في الزمن الأخير، ولا سيما الخليفة الذي ورد عنه في صحيح البخاري أنه سيأتي من أجله صوت من السماء: "هذا خليفة الله المهدي"[2]. فكّروا الآن في مدى صحة هذا الحديث ومرتبته الذي ورد

---

[1] الواقعة: ٤٠-٤١

[2] المسيح الموعود عليه السلام يقصد هنا حديث ثوبان الوارد في مسند أحمد وسنن ابن ماجة والمستدرك للحاكم. ويبدو أنّ سهوا حدث لدى المسيح الموعود عليه السلام فعزاه إلى البخاري، وهو ليس فيه، وإن كان الحديث على شرطه كما قال الحاكم في مستدركه.

في أصح الكتب بعد كتاب الله، ولكن الحديث الذي قدّمه المعترض نقده المحدثون من شتى الوجوه وطعنوا في صحته. ألم يفكر المعترض أن ما أُنبئ به عن ظهور بعض الخلفاء في الزمن الأخير بما فيه: سيأتي الحارث، وسيظهر المهدي، وسيأتي الخليفة السماوي، هل وردت كل هذه الأنباء في الأحاديث أو في كتاب آخر؟ ثابت من الأحاديث أن الأزمنة ثلاثة. أولا: زمن الخلافة الراشدة، ثم زمن فيج أعوج الذي يكون فيه ملك عاضٌ، ثم بعده الزمن الأخير على منهاج النبوة. فقد قال النبي ﷺ بأن زمن أمتي الأول يشبه زمنها الأخير بشدة فإن مَثَل أُمَّتِي مَثَل الْمَطَرِ الذي مُلئ خيرا فلَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ.

فليكن واضحا أيضا في هذا المقام أن الله جلّ شأنه يقول في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] وفي ذلك تصريح أن هذا الكلام سيبقى حيا إلى الأبد، وسيوجد دائما مَن يحافظ على نضرة تعليمه ويفيد به الآخرين.

وإذا طُرح سؤال: ما الغاية الحقيقية التي يتوقف عليها بقاء القرآن محفوظا ومصونا إلى أبد الدهر؟ فهذا يتبين من آية أخرى، وهي: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[2]. تتلخص هذه الآية في أن للقرآن الكريم فائدتين عظيمتين جاء النبي ﷺ

ويُحتمل أن السهو مردّه إلى نسخة مشكاة المصابيح التي هي تجميع للأحاديث، والتي كان حضرته يستخدمها. ونص الحديث هو: عَنْ ثَوْبَانَ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ. ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ. ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِق. فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ. ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لا أَحْفَظُهُ. فَقَالَ: فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ. (ابن ماجة، ومسند أحمد، والمستدرك). وقال الحاكم بعد أن أورده: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. (المستدرك).(المترجم)

[1] الحجر: ١٠

[2] الجمعة: ٣

لإيصالهما. أولاهما: حكمة القرآن الكريم، أي معارفه ودقائقه. ثانيتهما: تأثيره الذي مآله تزكية النفوس. إن حفظ القرآن لا ينحصر فقط في أن تحافظ على نُسَخه المكتوبة جيدا لأن هذا ما فعله اليهود والنصارى أيضا في بداية الأمر حتى أحصَوا النقاط في التوراة أيضا. بل المراد هنا هو حفظ فوائد القرآن وتأثيراته أيضا إلى جانب حفظه الظاهري. وهذا الحفظ لا يتأتّى- بحسب سنة الله ﷻ- إلا إذا ظل يأتي بين فينة وفينة نائبون عن الرسول يملكون بصورة ظلية كافة نِعم الرسالة والذين أُعطُوا جميع البركات التي يُعطَاها الأنبياء، كما أشير إلى هذا الأمر العظيم في آية أخرى وهي: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. والحقيقة أن هذه الآية تفسر الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] وتردّ على سؤال عن كيفية حفظ القرآن. فيقول الله ﷻ بأني سأُرسل خلفاء النبي ﷺ بين حين وآخر. ولقد اختيرت كلمة "الخليفة" للإشارة إلى أنهم يكونون نوّاب النبي وسينالون نصيبا من بركاته كما حدث في الأزمنة الخالية. وعلى يدهم يزدهر الدين ويتمكّن، ويُبدَّل الخوف أمنا. أيْ سيأتون في وقت يكون الدين فيه عرضة للفُرقة. ومَن كَفَر وتمرد بعد مجيئهم فأولئك هم الفسقة والفجرة. وهذا ردٌّ على بعض الجهلاء الذين يتساءلون هل يجب علينا الإيمان بالأولياء. فيقول الله تعالى لا شك أنه واجب، والذين يخالفونهم هم الفاسقون إذا ماتوا على المعارضة.

في هذا المقام نقل المعترض قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[2]، ثم اعترض أنه ما دام الدين قد بلغ الكمال وتمت

---

[1] الحجر: ١٠

[2] المائدة: ٤

النعمة فلم تعد هناك حاجة إلى مجدد ولا إلى نبي. ولكن من المؤسف أن المعترض بقوله هذا قد اعترض على القرآن نفسه لأن القرآن الكريم وعد بوجود الخلفاء في هذه الأمة كما سبق ذكره، وقال بأن الدين سيتمكّن في عهدهم ويزول التزلزل والتذبذب، وسيُبدَّل الخوف أمنا. فلو لم يصح أيّ شيء بعد اكتمال الدين لبطلت الخلافة أيضا التي امتدت إلى ثلاثين سنة بحسب زعم المعترض لأنه ما دام الدين كان قد بلغ الكمال فلم تكن هناك حاجة إلى أحد. ولكن من المؤسف أن المعترض الجاهل قدّم الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بغير وجه حق. متى قلنا بأن المجددين والمحدَّثين بمجيئهم إلى الدنيا ينقصون في الدين شيئا أو يزيدون، بل نقول إنه حينما يتراكم غبار الأفكار الفاسدة على التعليم المقدس بعد مرور الزمان ويختفي وجه الحق الصراح يأتي المجددون والمحدَّثون والخلفاء الروحانيون لإراءة ذلك الوجه الجميل. لا أدري من أين وممن سمع المعترض المسكين أن المجددين والخلفاء الروحانيين يغيِّرون شيئا في الدين أو ينسخونه بعد مجيئهم إلى الدنيا. كلا، لا يأتون لنسخ الدين بل يأتون لإراءة لمعانه وبريقه. أما شبهة المعترض بأنه ما الحاجة إليهم، فقد نشأت لسبب وحيد هو أنه ليس لديه أدنى اهتمام بدينه، ولم يفكر قط ما الإسلام، وما المراد من ازدهاره، وكيف وبأية سبل يمكن أن يتحقق ازدهاره، ومتى يمكن أن يُعتبر أحدٌ مسلما على وجه الحقيقة. فلهذا السبب يرى المعترض في وجود القرآن الكريم ووجود العلماء كفاية، وأن قلوب معظم الناس راغبة في الإسلام تلقائيا فلا حاجة إلى مجدد. ولكن من المؤسف حقا أن المعترض لا يدرك أن هذه الأمة تحتاج إلى المجددين والخلفاء الروحانيين كالحاجة إلى الأنبياء منذ القِدم. لا يسع أحدا أن ينكر أن موسى عليه السلام كان نبيا مرسلا وكانت توراته كاملة لتعليم بني إسرائيل. كما هناك آية في القرآن: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ﴾ كذلك توجد في التوراة أيضا آيات تفيد أن بني إسرائيل أُعطُوا كتابا كاملا وجلاليا اسمه التوراة- هذا ما وصف به القرآنُ أيضا التوراةَ- ومع ذلك جاء بعد التوراة

مئات الأنبياء في بني إسرائيل بغير كتاب جديد، وكان الغرض من مجيئهم دائما أن يعيدوا مجددا إلى تعليم التوراة الحقيقي مَن ابتعدوا عن تعليمها في زمنهم، وليهبوا إيمانا حيا للذين تطرقت إلى قلوبهم الشبهات والإلحاد. فيقول الله جلّ شأنه في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾[1] ليؤيدوا تعليم التوراة ويصدِّقوها. ويقول في آية أخرى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرا﴾[2]. يتضح من هذه الآيات أن من عادة الله المستمرة أن يُنــزل كتابه ثم يرسل رسله حتما ليؤيدوه ويصدِّقوه. فقد جاء لتأييد التوراة في زمن واحد قُرابة أربع مائة نبي ولا يزال الكتاب المقدس يشهد على مجيئهم.

والسرّ في كثرة إرسال الرسل أن هناك عهدا مؤكدا من الله تعالى أن الذي يُنكر كتابه الصادق فجزاؤه جهنم خالدا فيها، كما يقول ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3]. إذًا، لما جاءت عقوبة الإنكار في كتاب الله بهذه الشدّة، ومن ناحية ثانية كانت مسألة النبوة ووحي الله دقيقة جدا بل إن وجود الله بحد ذاته مسألة دقيقة جدا بحيث ما كان ممكنا قط أن ينال المرء معرفته الصادقة والمقدسة ما لم تكن العين مستنيرة بنور من الله، دع عنك معرفة رسله وكتابه؛ فقد اقتضت رحمانية الله أن تنصر بشدةٍ خلقَه العمِهين، وألا تكتفي بإرسال رسوله وكتابه مرة واحدة ثم تلقي المنكرين في جهنم أبدية بسبب إنكارهم تلك المعتقدات التي لا يفهمها الذين يأتون فيما بعد- بسبب مرور أزمنة طويلة- أكثر من أنها منقولات طيبة ومثالية. ومن الواضح تماما لكل متفكّر أنه لا يمكن أن يختار الله وهو الرحمن والرحيم قانونا لإنزال عقوبة قاسية إلى هذه الدرجة ليُلقي في جهنم أبدية- بغير إتمام الحجة- أناسا من مختلف البلاد سمعوا اسم القرآن والرسول بعد مئات السنين، ولا

[1] البقرة: ٨٨
[2] المؤمنون: ٤٥
[3] البقرة: ٤٠

يعرفون العربية فلا يستطيعون أن يدركوا محاسن القرآن. هل يقبل ضمير أحد أن يُطلق على أحد سكينا جزافا دون أن يثبت له أن القرآن من عند الله؟ لهذا السبب وعد الله تعالى بالخلفاء على الدوام لكي يتِمُّوا الحجة على العالم بحيازتهم أنوار النبوة بصورة ظلية، ويُظهروا للناس محاسن القرآن الكريم وبركاته السَّنِيَّة.

وليكن معلوما أيضا أن إتمام الحجة في كل زمان يكون بأسلوب مختلف، ويأتي مجدد العصر بقوى ومَلَكات وكمالات يعتمد عليها إصلاح مفاسد ذلك العصر. فهذا ما سيفعله الله دائما ما دام مقدّرا عنده أن تبقى آثار الرشد والصلاح باقية في الدنيا. وهذه الأمور ليست بلا دليل بل تشهد عليها النظائر المتواترة. ولو ألقينا نظرة على أنبياء بني إسرائيل ورسلهم وحدهم- بغض النظر عن الأنبياء والمرسلين والمحدَّثين في بلاد أخرى- لتبين من مطالعة كتبهم أنه قد بُعث فيهم في غضون ١٤٠٠ عام أي منذ زمن موسى إلى المسيح عليهما السلام آلاف الأنبياء والمحدَّثين الذين عكفوا على خدمة التوراة كالخدام. فالقرآن شاهد على هذه البيانات كلها، ويشهد الكتاب المقدس أيضا على أن هؤلاء الأنبياء لم يأتوا بكتاب جديد، وما علّموا دينا جديدا بل كانوا خُدام التوراة فحسب. وكانوا يأتون دائما كلما انتشر في بني إسرائيل الإلحاد والخيانة والسيئات وقسوة القلوب. فليتفكر المتفكرون أنه ما دام الله تعالى قد اتخذ هذه الإجراءات الوقائية من أجل شريعة موسى- التي كانت لزمن محدَّد ولم تكن لجميع أمم الأرض ولم تكن دائرتها ممتدة إلى يوم القيامة- فأرسل آلاف الأنبياء لتجديدها وقد أظهر الأنبياء القادمون مرارا آيات وكأن بني إسرائيل رأوا الله من جديد، فكيف يمكن أن تُحسَب شقيةٌ هذه الأمة التي سمِّيت خير الأمم وهي متعلقةٌ بذيل خير الرسل ﷺ؟ فيُظَنَّ أن الله تعالى نظر إليها برحمة وتحنّن ورأى الأنوار السماوية إلى ثلاثين عاما فقط ثم أعرض عنها، حتى مضت مئات السنوات على فِراقها نبيَّها الأكرم ﷺ وحلَّت بها آلاف أنواع الفتن ووقعت زلازل شديدة وانتشرت فيهم عدة أصناف من الدجل، وهاجم العالَمُ الدينَ

المتينَ، ورُفضت جميع البركات والمعجزات، وعُدّ المقبولُ غير مقبول، ولكن الله لم يهتمّ بهذه الأمة و لم يرحمها، و لم يخطر بباله قط أن هؤلاء القوم أيضا ضعفاء البِنية مثل بني إسرائيل، وأغراسها أيضا تحتاج إلى الريّ من السماء دائما مثل اليهود. هل يمكن أن يفعل الإله الكريم ذلك وهو الذي أرسل النبي ﷺ لإصلاح المفاسد إلى الأبد؟ ثم هل لنا أن نزعم أن الله كان رحيما بالأمم السابقة لذا أنزل التوراة ثم بعث آلاف الرسل على التوالي لتأييدها ولإحياء القلوب مرة بعد أخرى، ولكن هذه الأمة كان مغضوبا عليها فنسي الله كل هذه الأمور بعد إنزال القرآن الكريم وترَكَ العلماء وشأنهم إلى الأبد ليجتهدوا بعقولهم. بينما قال عن موسى عليه السلام بصراحة تامة: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا * رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1].... أيْ أرسل الرسل تترا لكي يؤمنوا بالتوراة بصدق القلب نتيجة رؤيتهم حزب الأنبياء على التوالي. ثم قال: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[2]؛ ولكن لم يهتم الله عز وجل بالباحثين عن الإسلام، فكأنه لم يكن من نصيب هذه الأمة أن تحظى برحمته وألطافه مثلما حظي بهما قوم موسى عليه السلام. من المعلوم أن المعجزات والكرامات القديمة تصبح قصصا بعد مرور الزمن، وفي نهاية المطاف تخالج الأجيالَ القادمة شكوكٌ وشبهاتٌ عن المعجزات السابقة أيضا حين يرون أنفسهم محرومين من كل ما هو خارق للعادة. فلما كان مَثل آلاف الأنبياء من بني إسرائيل ماثلا أمام الأعين فإن ذلك سيؤدي لا محالة إلى اليأس في الأمة أكثر من ذي قبل، وسينظرون إلى بني إسرائيل بغبطة وإجلال بعد أن يجدوا أنفسهم تعساء الحظ، أو تخالجهم أفكار سيئة فيعدُّون قصصهم أيضا حكايات خيالية بحتة.

---

[1] النساء: ١٦٥ - ١٦٦.

[2] النساء: ١٦٥

أما القول بأنه قد بُعث من قبل آلاف الأنبياء وظهرت المعجزات أيضا بكثرة لذا لم تكن هذه الأمة بحاجة إلى الخوارق والكرامات والبركات فحرمها الله من هذه الأشياء كلها؛ فليس إلا مجرد كلام لا يتفوه بمثله إلا الذين ليس لديهم أدنى اهتمام بالإيمان، وإلا فالإنسان ضعيف وبحاجة إلى تقوية إيمانه دائما. ولا تنفع أدلة مختلَقَة في هذا المجال ما لم يُعلَم مجدَّدًا أن الله موجود فعلا، غير أن الإيمان الزائف الذي لا يسعه أن يمنع من السيئات يبقى قائما من حيث العقل والنقل.

وهنا يجب أن يكون معلوما أيضا أن تكميل الدين لا يستلزم التخلي كليًّا عن المحافظة عليه بما هو أنسب. فمثلا لو بنى أحد بيتا وجهّز غرفه كلها بكل دقة وعناية تامة وعلى أحسن وجه وزوده بكل ما يخصه، ثم إذا هبّت العواصف والرياح العاتية بعد مدة من الزمن وهطلت الأمطار بغزارة، وتراكم الغبار على زخرفة البيت وزينته واختفى حسنه وجماله، وأراد أحد من ورثة البيت أن ينظفه ويطليه بطلاء أبيض، لكان منعه من ذلك بحجة أن البيت مكتمل حمقا محضا. من المؤسف حقا أن مثيري مثل هذا الاعتراض لا يفكرون أن تكميل البناية شيء وتنظيف البناية المكتملة بين حين وآخر شيء آخر. ويجدر بالذكر أيضا أن المجددين لا ينقصون من الدين شيئا ولا يزيدون بل يقيمون الدين المفقود في القلوب من جديد. أما القول بأن الإيمان بالمجددين ليس ضروريا فهو انحراف عن أمر الله تعالى لأن الله جلّ شأنه يقول: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[١] أي من كفر بالخلفاء بعد أن يُرسَلوا فهو من الفاسقين.

وفيما يلي نكتب ملخص البيان المذكور آنفا وهو: يثبت من الأدلة أدناه أنه من الضروري أن يأتي بعد وفاة النبي ﷺ عند انتشار الفساد والفتن في هذه الأمة مصلحون باستمرار مكلَّفين بمهمة من مهام الأنبياء العديدة ليدْعوا إلى الدين الحق، وينـــزهوه من كل بدعة اختلطت به، ويُظهروا للناس صدق الدين من

[١] النور: ٥٦

كل الجوانب بتلقيهم نورا من السماء، وليجذبوا الناس إلى الصدق والحب والطهارة بأسوهم الحسنة. وتلك الأدلة هي:

أولا: يرى العقل السليم ضروريا أنه ما دامت مسائل الإلهيّات وأمور المعاد دقيقة جدا ونظرية وكأن المرء يضطر إلى الإيمان بجميع الأمور غير المرئيّة والتي تفوق العقل، إذ لم ير اللهَ ﷻ أحد، وما رأى أحد الجنةَ ولا جهنّم، ولم يُقابل الملائكةَ، وإضافة إلى ذلك فإنّ الأحكام الإلهية تعارض هوى النفس، وتمنع من ارتكاب ما تتلذّذ به النفس الأمّارة، فليس من المستحسن عند العقل فحسب أن ينال أنبياء الله الأطهار- الذين يأتون بالشريعة والكتاب ويملكون تأثيرا وقوّة قدسيّة- عمرا طويل الأمد، بل من الواجب أيضا أن يشرِّفوا أفرادَ أمّتهم الجدد بلقياهم وصحبتهم في كلّ قرن، ويجعلوهم تحت كنف رعاية فيوضهم ويهبوهم البركة والنور والعرفان الروحاني مثلما فعلوا في بداية عهدهم. وإن لم يكن الأمر كذلك فيجب أن يكون ورثتهم الحائزين على نصيب من كمالاتهم قادرين على بيان دقائق الكتاب الإلهي ومعارفه بواسطة الوحي والإلهام، وأن يُظهروا المنقولات في حيِّز المشهودات، وأن يوصِلوا طالب الحق إلى سُدّة اليقين، ولابد أن يكونوا موجودين في كلّ زمان تحدث فيه الفتنة والفساد حتّى لا يُحرم الإنسان المغلوبُ بالشبهات والنسيان من فيضهم الحقيقي، لأنه من الواضح والبديهي أنه عندما يوشك عهد نبي على الانتهاء ويموت كل من شهد بركاته تصبح جميع تلك المشهودات في عِداد المنقولات، فأخلاق النبي وعباداته وصبره واستقامته وصدقه وصفاؤه ووفاؤه والتأييدات الإلهية كلها وخوارقه ومعجزاته التي كان يُستَدلّ بها على صحّة نبوّته وصدق دعواه تبدو أساطير خيالية للناس في القرن التالي. ولهذا السبب فإن الانشراح الإيماني والاندفاع إلى الطاعة الذي يوجد فيمن رأوا النبي لا يوجد في غيرهم.

ومن البديهي أيضا أن صدق الإيمان الذي أبداه صحابة النبي ﷺ وتضحيتهم بأموالهم وأنفسهم وشرفهم في سبيل الإسلام بإخلاص متزايد لا نظير له حتى في

الذين كانوا في القرن الثاني، أي في التابعين أيضا دع عنك القرون الأخرى. ما هو السبب وراء ذلك؟ ليس له سبب إلا أن الصحابة ﷺ رأوا وجه ذلك الرجل الصادق الذي شهد عفويا بعشقِهِ ربَّه كفارُ قريش أيضا، فقالوا: "عشِق محمدٌ على ربّه"، وذلك حين رأوا مناجاته كل يوم وسجداته الزاخرة بالحب وفنائه في الطاعة وكمال حبه، وشاهدوا الأمارات الجليّة لتعلُّق قلبه بالله تعالى ونزول نور الله على وجهه الطاهر. ثم لم ير الصحابة ذلك الصدق والحب والإخلاص فقط بل شاهدوا أيضا- مقابل الحب الذي كان يموج في قلب سيدنا ومولانا محمد ﷺ كالبحر الزخار- حبَّ الله له أيضا بصورة التأييدات الخارقة للعادة. عندها علموا على وجه اليقين أن الله موجود فعلا، وصدر من قلوبهم صوت عفوي أن الله مع هذا البطل. لقد رأوا العجائب الإلـــهية والآيات السماوية بكثرة حتى لم يبق مجال للشك في أن هناك ذاتًا عُليا موجودة فعلا سمِّيت بـــ "الله"، الذي في يده كل أمرٍ ولا مستحيل أمامه. فقاموا بأعمال الصدق والصفاء وقدموا تضحيات لا يسع الإنسان تقديمها أبدا ما لم تزُل جميع شكوكه وشبهاته. لقد رأوا بأم أعينهم أن تلك الذات المقدسة لا ترضى إلا أن ينضم الإنسانُ إلى الإسلام ويتبع رسوله الكريم قلبا وروحا. ثم إن ما أبدوه- بعد وصولهم إلى حق اليقين- من الاتباع وما كسبوا من أعمال الطاعة بحماس متزايد وكيفية رميهم أنفسهم أمام هاديهم المصطفى إنما هي أمور لا يمكن أن تتأتّى لأحد ما لم يمثل أمام عينيه الربيع نفسه الذي حلّ بالصحابة. ولما كان خلق هذه الكمالات دون تلك الوسائل من المحالات، والحصول على النجاة على وجه اليقين أيضا مستحيل بدون تلك الكمالات، فصار ضروريا أن يفعل الله تعالى- الذي دعا كل إنسان إلى النجاة- ذلك في كل قرن حتى لا يحرم عباده من مراتب حق اليقين في أيّ زمان.

أما القول بأنه يكفينا القرآن والأحاديث ولا حاجة إلى صحبة الصادقين فهو ينافي تعليم القرآن لأن الله جلّ شأنه يقول: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[1]. والصادقون هم أولئك الذين عرفوا الحق على وجه البصيرة، ثم استقاموا عليه بالقلب والروح. ولا يمكن الحصول على درجة عليا هذه من البصيرة ما لم يحالف المرءَ التأييدُ السماوي ويبلّغه إلى أعلى مراتب حق اليقين. إذًا، الصادقون الحقيقيون من منطلق هذا المعنى هم الأنبياء والرسل والمحدَّثون والأولياء الكاملون المكمَّلون الذين نـــزل عليهم نور من السماء، والذين رأوا الله تعالى بأعين اليقين في هذا العالَـــم. وتشير الآية المذكورة آنفا إلى أن الدنيا لا تخلو من وجود الصادقين في حين من الأحيان، لأن دوام الأمر: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ يستلزم دوام وجود الصادقين.

إضافة إلى ذلك توحي المشاهدة بجلاء أن الذين يقضون حياتهم غافلين عن صحبة الصادقين لا تستطيع علومهم وفنونهم أن تنقِّيهم من عواطفهم المادية أبدا. ولا يتأتّى لهم حتى أقل درجات الإسلام قط بأن يحصلوا على يقين قلبي بوجود الله؟ ولا يحظون باليقين بالله كما يوقنون بثروتهم في صناديقهم أو بمنازلهم التي تحت تصرفهم. يخافون تناول سم الفأر لأنهم يعلمون يقينا أنه سمّ فتاك، ولا يخافون سم الذنوب مع أنهم يقرأون في القرآن كل يوم: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا﴾[2]. فصحيح تماما أن الذي لا يعرف الله لا يمكن أن يعرف القرآن أيضا، وصحيح أيضا أن القرآن نزل للهداية ولكن هديه منوط بالذي نزل عليه، أو بالذي جعله الله نائبا له. لو كان القرآن وحده كافيا، لكان الله قادرا على أن يُكتب القرآن على أوراق الأشجار بقدرته، أو ينـــزل من السماء مكتوبا، ولكن الله لم يفعل ذلك بل لم ينـــزِله إلى الدنيا ما لم يبعث معلّمَه. افتحوا القرآن وانظروا كم مرة وردت فيه

---

[1] التوبة: ١١٩

[2] طه: ٧٥

آيات تحتوي على مضمون: ﴿يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[1] أي النبي ﷺ. ويقول تعالى في آية أخرى: ﴿لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾[2]. أي أن حقائق القرآن ودقائقه لا تنكشف إلا على الذين طُهِّروا تطهيرا.

يتبين من هذه الآيات بكل جلاء أن لفهم القرآن حاجة إلى معلِّم طهَّره الله بيده، إذ لو لم يكن هنالك حاجة لذلك لما كانت هناك حاجة في صدر الإسلام أيضا. أما القول بأنه كانت هناك حاجة إلى معلّم في البداية لحل دقائق القرآن الكريم، ولكنها عندما حُلَّت فلا حاجة إليه الآن، فجوابه أن الأمور المحلولة أيضا تصبح بحاجة إلى الحل مرة أخرى بعد فترة من الزمن. وإضافة إلى ذلك تواجه كل أمة معضلات متجددة أيضا في كل عصر. صحيح أن القرآن جامع لجميع العلوم ولكن ليس ضروريا أن تنكشف كافة علومه في عصر واحد، بل كلما تظهر المشاكل للعيان تنكشف علوم القرآن بحسبها. ولحل مشاكل كل عصر يُرسَل المعلِّمون الروحانيون بحسب مقتضى الأمر وهم ورثة الأنبياء وينالون كمالات الرسل بصورة ظلية. والمجدد الذي تكون نشاطاته مماثلة بشدة لنشاطات رسول من الرسل يُدعَى عند الله باسم ذلك الرسول.

وتكون هناك حاجة إلى المعلمين الجدد لسبب آخر أيضا وهو أن بعض أجزاء تعليم القرآن الكريم هي من قبيل الحال وليس من قبيل القال. والنبي ﷺ، وهو المعلِّم الأول والوارث الحقيقي لهذا العرش، قد علّم أصحابه هذه الدقائق بالحال. فمثلا إن قول الله تعالى بأنه عالم الغيب ومجيب الدعوات وأنه القادر ويجيب الدعوات ويوصل الطلاب إلى النور الحقيقي ويُلهم العباد الصادقين ويُلقي روحه على من يشاء من عباده، فكل هذه الأمور لا يمكن أن يفهمها أحدٌ قط ما لم يوضّحها المعلّم بأسوته. فمن الواضح أن علماء الظاهر الذين هم أنفسهم عَمِهون لا يستطيعون أن يفهِّموا الآخرين هذه التعاليم بل ينفِّرون

[1] الجمعة: ٣

[2] الواقعة: ٨٠

تلاميذهم من عظمة الإسلام كل حين وآن، ويقولون بأن هذه الأمور لا تتعلق بالمستقبل بل اقتصرت على الأزمنة الخالية. يُفهم من بياناهم هذه أن الإسلام لم يعُد دينا حيًّا، ولم يبق سبيل لنيل تعليمه الحقيقي. ولكن من الواضح أنه إذا كان في مشيئة الله تعالى أن يسقي خلقه من ينبوع القرآن الكريم إلى الأبد فسوف يراعي حتما قوانينه القديمة هذه كما ظل يراعيها منذ القِدم. وإذا كان تعليم القرآن الكريم مقصورا على حد تعليم فيلسوف محنك ودقيق الفكر، ولا يوجد فيه التعليم السماوي الذي يُفهَم بواسطة نموذج الحال، فلا جدوى من مجيئ القرآن الكريم أصلا، والعياذ بالله.

ولكنني أعرف جيدا أنه لو تأمّل أحد لحظة واحدة في الفرق بين تعليم الأنبياء وتعليم الحكماء على افتراض صحة كِلا التعليمينِ لـــما وجد فارقا يميِّز بينهما إلا أن الجزء الأكبر من تعليم الأنبياء يفوق العقل، فلا يمكن فهمه وتعلّمه إلا بالتفهيم والتعليم بواسطة الحال، ولا يستطيع ترسيخ هذا الجزء في القلوب إلا مَن كان صاحب الحال. فمنها المسائل مثل: كيفية قبض الملائكة أرواح الناس، وكيفية صعودهم بأرواحهم إلى السماء، وكيفية الحساب في القبر وكيفية الجنة والجحيم، وكيفية جسر الصراط، والمراد من حمل أربعة ملائكة للعرش وأنه سيحمله يوم القيامة ثمانية، ثم كيفية إنزال الله الوحي على عباده، وفتحه عليهم باب الكشوف، فهذا كله تعليم يتعلق بالحال، ولا يمكن فهمه بمجرد القيل والقال. وما دام الأمر على هذا المنوال فأقول مرة أخرى بأنه إذا كان في مشيئة الله جلّ شأنه لعباده ألا يبقى تعليم هذا الجزء من كتابه مقصورا على الزمن الأول فقط فلا بد أن يكون قد قدّر أيضا أن يأتي المعلمون دائما لتعليم ذلك الجزء، لأن فهم جزء من التعليم المتعلق بالحال مستحيل تماما دون توسط المعلمين البالغين مرتبة الحال وتتعثّر الدنيا على أتفه الأمور. فإن لم يأت في الإسلام بعد النبي ﷺ معلمون فيهم نور النبوة على سبيل الظلية فكأن الله أضاع القرآن الكريم عمدا إذ رفع من الدنيا سريعا مَن كانوا يفهمونه في

الحقيقة. ولكن هذه الفكرة تعارض وعده القائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١]. الآن، لا أفهم ما معنى حفظ القرآن إذا لم يبق فاهمو القرآن والمؤمنون به على وجه اليقين والحالِ بل اختفوا في زاوية العدم؟ هل المراد من الحفظ أنه ستُكتَب نسَخٌ عديدة منه بخط جميل وستبقى محفوظة في الصناديق إلى يوم القيامة كمثل الكنوز الدفينة التي تبقى محفوظة تحت الأرض ولا تُستخدَم أبدا؟ هل لأحد أن يفهم أن هذا ما قصده الله تعالى بهذه الآية؟ إذا كان هذا ما يقصده الله فليس هذا النوع من الحفظ بأمر عظيم بل هو مدعاة للضحك. والتفوه بهذا النوع من الحفظ إعطاءُ المعارضين فرصة للسخرية لأنه لو فُقدت الغاية الـمُتوخاة فما الفائدة من الحفظ الظاهري؟ إذ من الممكن أن تكون نسخة من نسخ الإنجيل أو التوراة أيضا محفوظة في حفرة ما. فهناك آلاف الكتب في الدنيا التي تُعَدّ تأليف مؤلف دون نقصان أو زيادة فيها قط. فما الغرابة في ذلك؟ وماذا استفادت منه الأمة بوجه خاص؟ لا شك أنه لا يمكن الإنكار أن القرآن يحظى بحفظ مادي أيضا أكثر من كتب الدنيا كلها وبوجه خارق للعادة أيضا ولكن الله تعالى الذي ينظر إلى الأمور الروحانية لا يمكن الظن به قط أنه لم يقصد من الحفظ إلا حفظ الكلمات والحروف فحسب، مع أن كلمة ﴿الذكر﴾ تشهد بكل وضوح أن القرآن سيبقى محفوظا إلى يوم القيامة بصفته ﴿الذكر﴾، وسيكون ذاكروه الحقيقيون موجودين دائما. فهناك آية أخرى تمثِّل قرينةً بيّنة على ذلك وهي: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[٢].

معلوم أن الآية تعني أن المؤمنين أُعطُوا علم القرآن الكريم ووُفِّقوا للعمل به. فلما كانت صدور المؤمنين أوعية للقرآن الكريم فماذا عسى أن يكون معنى الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ إلا أن القرآن لن يُمحى من

---

[١] الحجر: ١٠

[٢] العنكبوت: ٥٠

الصدور كما مُحيت التوراة والإنجيل من صدور اليهود والنصارى. مع أن التوراة والإنجيل كانا في أيدي اليهود والنصارى وصناديقهم ولكنهما مُحيا من قلوبهم، أي لم تعد قلوبهم ثابتة عليهما، و لم يقيموا التوراة والإنجيل في قلوبهم.

إذًا، هذه الآية تعلن بأعلى صوتها أنه لن يضيع ولن يُمحَى شيء من تعليم القرآن أبدا، وكما غُرس غراسه في القلوب من أول يوم ستبقى هذه السلسلة جارية إلى يوم القيامة.

ثانيا: كما يوجب العقل ويجعل محتوما أنه لا بد لتعليم الكتب الإلـــهية وتفهيمها بشكل دائم من أن يأتي الملهَمون والمكلَّمون وأصحاب العلم اللدنِّي بين الفينة والفينة وباستمرار على غرار الأنبياء، كذلك حين نلقي نظرة على القرآن الكريم من هذا المنطلق وننظر إليه بتأمل وتدبر نجده يعلن بصوت جهوريّ أن مجيء المعلمين الروحانيين باستمرار مقدَّر في مشيئة الله منذ القِدم، حيث يقول: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾[1]. ومعلوم جيدا أن الأنبياء هم الأكثر نفعا للناس في الدنيا لأنهم يقوُّون إيمانهم بالخوارق والمعجزات والنبوءات والحقائق والمعارف ونماذج صدقهم وينفعون الباحثين عن الحق نفعا دينيا. ومعلوم أيضا أنهم لا يعيشون في الدنيا إلى مدة طويلة بل يُرفعون منها بعد قضاء حياة وجيزة. ولكن لا اختلاف قط في مضمون الآية، إذ لا يمكن أن يكون في كلام الله أيّ اختلاف. فمعنى الآية بالنظر إلى الأنبياء هو أنهم يُبقَون من حيث الظل، وأن الله تعالى يخلق عبدا من عباده كنظير ومثيل لهم بصورة ظليةٍ كلما مست الحاجة. فيكون هذا العبد سببا لحياتهم الدائمة مُنصبغا بصبغتهم. ولإبقاء هذا الوجود الظلي علّم الله عباده دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ والمعلوم أن إنعام الله الذي أُنعِم به على الأنبياء وأُمرنا بطلبه في هذا الدعاء ليس من قبيل الدراهم والدنانير بل هو إنعام الأنوار والبركات والحب واليقين والخوارق والتأييدات السماوية والقبول

[1] الرعد: ١٨

والمعرفة التامة الكاملة والوحي والكشوف. و لم يأمر الله تعالى هذه الأمة لتسأل هذا الإنعام إلا إذا أراد أيضا أولا إعطاءه إياهم. فثبت من هذه الآية بكل وضوح أن الله تعالى قد جعل هذه الأمة وارثة للأنبياء جميعا بصورة ظلية لكي يبقى وجود الأنبياء دائما بصورة ظلية، وألا تخلو الدنيا من وجودهم أبدا. ثم لم يأمر الله بالدعاء فقط بل وعد في آية باستجابته أيضا فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[1]. ومعلوم أن سبل الله هي التي أُرِيَها الأنبياء.

ثم هناك آيات أخرى يتبين منها أن الله تعالى أراد حتما أن يكون هناك دائما معلمون روحانيون وهم ورثة الأنبياء. والآيات هي: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾. و﴿وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[2]، و﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا﴾[3].

كيف يمكنني أن أصدّق أن أحدًا يقرأ هذه الآيات بتدبر وإمعان ثم لا يدرك أن الله تعالى قد قطع لهذه الأمة وعدًا صريحًا بالخلافة الدائمة. إذا لم تكن الخلافة ذات صفة دائمة فما معنى تشبيهها بالخلفاء في الشريعة الموسوية؟ وإذا بقيت الخلافة الراشدة إلى ثلاثين سنة فقط ثم انتهت إلى الأبد، لكان معنى ذلك أن الله تعالى لم يشأ أن يُبقي أبواب السعادة مفتوحةً على هذه الأمة إلى الأبد، ذلك لأن موت السلسلة الروحانية يستلزم موت الدين. ولا يمكن أن يُعَدّ حيا قط الدينُ الذي يقرّ أتباعه بلساهم أنه ميّتٌ منذ ١٣٠٠ عام، و لم يرد الله لهذا الدين أن يتوارث الآخرون فيه نورَ الحياة الحقيقية الذي كان موجودا في صدر النبي ﷺ.

[1] العنكبوت: ٧٠
[2] الرعد: ٣٢
[3] الإسراء: ١٦

من المؤسف أن المتمسكين بهذه الفكرة لا يتدبرون كلمة "الخليفة" المستمَدّة من "الاستخلاف"، لأن الخليفة هو الخَلَف، وخليفة النبي بالمعنى الحقيقي لا يكون إلا الذي يحظى بكمالات النبي ظلّيًا، لذلك لم يُرد النبي ﷺ أن تُطلق كلمة "الخليفة" على الملوك الغاشمين، وذلك لأن الخليفة هو ظلّ الرسول في حقيقة الأمر، ولأنّه لا خُلود لأحد من البشر لذا أراد الله تعالى أن يجعل الأنبياء، الذين هم أشرف المخلوقات وأفضلها، خالدين إلى الأبد على سبيل الظلية، فلذلك قدّر الله سبحانه وتعالى الخلافة لكي لا تخلو الدنيا من بركات النبوّة في وقت من الأوقات. فالذي يؤمن بالخلافة إلى ثلاثين سنة فقط فإنه يُعرض لغبائه عن غاية الخلافة المتوخاة، ولا يدري أن الله تعالى لم يرد قط إبقاء بركات النبوة في حُلل الخلفاء ضروريا إلى ثلاثين عاما فقط بعد وفاة رسول الله ﷺ، ولا بأس إن هلكت الدنيا بعد ذلك! بل الحق أنه لم تكن لوجود الخلفاء في الأيام الأولى ضرورة ملحة إلا لنشر شوكة الإسلام؛ لأن أنوار الرسالة وكمالات النبوة كانت في انتشار مستمر وبصورة متجددة، وكانت آلاف المعجزات قد نزلت كالمطر الغزير حديثا. فلو أراد الله لما كان مستبعدا عن سنته وقانونه أن يزيد في عمر النبي ﷺ نفسه إلى ثلاثين عاما أخرى بدلا من وجود الخلفاء الأربعة. وبحسب هذا الحساب كان النبي ﷺ سيبلغ من العمر ٩٣ عاما وهذا العمر ما كان طويلا جدا نظرا إلى الأعمار في ذلك العصر، ولا يزيد عن قانون الطبيعة المعروف لدينا عن أعمار الناس.

إذًا، هل لعقل سليم أن يعزو فكرة سخيفة إلى الله تعالى بأنه اهتم بهذه الأمة إلى ثلاثين عاما فحسب ثم تركها تهيم في الضلالة إلى الأبد، والنور الذي ظل يُريه منذ القِدم في مرآة الخلافة في أمم الأنبياء السابقين لم يرد إراءته في هذه الأمة؟ هل له أن يعزو هذه الأمور إلى الله الرحيم الكريم؟ كلا.

ثم تشهد الآية الكريمة التالية بكل وضوح على خلافة الأئمة: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[1] فإنها تعلن بصوت عال أبدية الخلافة الإسلامية، لأن كلمة "يرثها" تقتضي الدوام. والسبب في ذلك أنه لو كان الدور الأخير للفُسّاق لعُدّ هؤلاء القوم ورثة الأرض وليس الصالحين. والمعلوم أن الذي يأتي بعد الجميع هو الذي يرث الجميع.

ثم يجب التأمل أيضا في أنه ما دام الله تعالى قد فهَّم كمثال بأنه سيستخلف في هذه الأمة كما استخلف بعد موسى فيجب البحث ماذا فعل الله تعالى بعد وفاة موسى؟ هل أرسل الخلفاء إلى ثلاثين سنة فقط أم أطال سلسلتهم إلى ١٤٠٠ عام؟ ولما كان فضل الله تعالى على نبينا الأكرم ﷺ أعظم من فضله على موسى بكثير كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[2]، وقال أيضا عن هذه الأمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[3]؛ فكيف يمكن إذًا أن تمتد سلسلة خلفاء موسى إلى ١٤٠٠ عام وتنتهي في هذه الأمة بعد ثلاثين عاما فقط؟ فإذا كانت هذه الأمة خالية من أنوار الخلافة الروحانية فما معنى الآية: ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾؟ فليبيِّن لي أحد. يقول مثل فارسي ما معناه: كيف يهدي الآخرين مَن كان ضالا طريقه؟ إذا كان المقصود هو إبقاء هذه الأمة عمياء إلى الأبد، وإبقاء هذا الدين ميتا فما معنى القول بأنكم خير أمة وأُخرجتم لخير الناس وهدايتهم؟ هل يستطيع الأعمى أن يهدي أعمى الطريق؟

فيا مَن تسمون أنفسكم مسلمين، تدبروا بالله عليكم أن هذه الآية لا تعني إلا أن الحياة الروحانية والبصيرة الباطنية ستبقى فيكم إلى يوم القيامة، وأن أصحاب الأديان الأخرى سينالون النور منكم، وأن الحياة الروحانية والبصيرة

---

[1] الأنبياء: ١٠٦

[2] النساء: ١١٤

[3] آل عمران ١١١

الباطنية التي تملك قدرة لدعوة الآخرين إلى الحق هي التي تُسمّى الخلافة بتعبير آخر. كيف تقولون إذاً بأن الخلافة بقيت إلى ثلاثين عاما ثم اختفت في طيات العدم؟ اتقوا الله! اتقوا الله!! اتقوا الله!!!

ليكن معلوما أنه مع أن هناك عديدا من الآيات في القرآن الكريم التي تبشر بالخلافة الدائمة في هذه الأمة، وهناك أحاديث كثيرة أيضا في هذا الموضوع ولكن أرى في هذا القدر من البيان في هذا الموضوع كفاية للذين يحسبون الحقائق الثابتة ثروة عظمى ثم يقبلونها. وليس هناك سوء ظنٍ بحق الإسلام أسوأ من أن يُعتبر هذا الدين ميتا وتُعتبر بركاته مقصورة على القرن الأول فحسب. هل الكتاب الذي يفتح باب السعادات الدائمة يمكن أن يعلّم تثبيط الهمم فيقول بأنه ما من بركة أو خلافة تمتد إلى المستقبل بل انتهى كل شيء على الزمن الماضي؟ فلو لم يأت في هذه الأمة خلفاء الأنبياء أيضا- دع عنك الأنبياء- ولم يُروا بين حين وآخر تجليات الحياة الروحانية لقُضي على روحانية الإسلام نهائيا. فما وجه المقارنة إذاً بين شوكة هذا الدين وشوكة الدين الموسوي الروحانية وجلاله الذي جاء فيه آلاف الخلفاء الروحانيين إلى ١٤٠٠ عام؟

من المؤسف حقا أن المعترضين علينا لا يفكرون بأن الإسلام في هذه الحالة يصبح أدنى درجة جدا من حيث روحانيته، ولا تثبت عظمة نبينا المتبوع ﷺ نبيا ذا شأن، والعياذ بالله، ولا يثبت القرآن كتابا قوي التأثير في نورانيته. ثم القول، والحالة هذه، بأن هذه الأمة خير الأمم وتفيد الأمم الأخرى فائدة روحانية دائما، وبأن القرآن هو الأكمل والأتم من بين جميع الكتب الإلهية من حيث كمالاته وتأثيراته، وبأن هذا الرسول ﷺ هو الأكمل والأتم من بين جميع الرسل من حيث قوته القدسية وتكميل الأخلاق، سيكون ادّعاء سخيفا وبلا معنى وبلا دليل. ثم يستلزم ذلك فسادا آخر أيضا وهو أن جزءا من تعليمات القرآن التي تهدف إلى جعل الإنسان شبيها بالأنبياء في الأنوار والكمالات الروحانية سوف تُعَدّ منسوخة إلى الأبد لأنه إن لم تكن في أفراد الأمة قدرة

على أن يخلقوا في أنفسهم الكمالات الباطنية للخلافة،فسيكون التعليم الذي يؤكد على الحصول على تلك المرتبة بلا طائل مطلقا. والحق أن الأبدان لتقشعر كليا بمجرد تصور السؤال: هل صار الإسلام الآن دينا ميتا إلى الأبد لا يوجد فيه أناس تقوم كراماتهم مقام المعجزات، أو تنوب إلهاماتهم عن الوحي، دونك أن يعتقد بذلك مسلم. هدى الله الذين هم أسرى هذه الأفكار الإلحادية.

الآن، لما ثبت من القرآن الكريم أن سلسلة الخلافة قائمة إلى الأبد في هذه الأمة المرحومة مثلما أُقيمت في شريعة موسى عليه السلام، وليس هناك إلا اختلاف لفظي فقط، بمعنى أنه قد جاء الأنبياءُ حينذاك لتأييد دين موسى، أما الآن فيأتي المحدَّثون، فلو ثبت ذلك لاستلزم القبول بأنه كما جاء في نهاية شريعة موسى نبي اسمه عيسى حين كانت حالة اليهود الأخلاقية قد تدهورت كليا، وكانوا بعيدين كل البُعد عن التقوى والأمانة الحقيقية والمواساة القومية والوحدة وخشية الله الصادقة، واقتصر مبلغ علمهم وفكرهم على الكلمات الظاهرية والتمسك بالألفاظ فقط، وكانوا ضعفاء جدا وأذلاء من حيث حالتهم الدينية؛ كذلك يجب أن يُبعث في هذا الزمن محدَّث- منصبغا بصبغة ذلك النبي ومماثلا له- في هذه الأمة أيضا حين تفسد هذه الأمة كما فسد اليهود في زمن عيسى عليه السلام.

وحين نتأمل في الموضوع ونفكر من منظور البحث والتحقيق نعلم بوضوح أن الزمن الذي يجب أن يُبعث فيه مثيل المسيح عليه السلام في هذه الأمة بناء على المماثلة التامة والكاملة بين خلفاء موسى وخلفاء محمد ﷺ هو هذا الزمن الذي نحن فيه، لأن الفاصل الزمني بين موسى والمسيح عليهما السلام كان ١٤٠٠ عام تقريبا، والآن نحن أيضا في القرن الرابع عشر بعد زمن النبي ﷺ. وقد فسدت أمة موسى عليه السلام عند بلوغها القرن الرابع عشر لدرجة تلاشت منها التقوى والأمانة نهائيا، وكان علماء اليهود منغمسين في خلافات ونزاعات نفسانية بغير حق، وانتشر فيهم الفسق والفجور إلى حد كبير، وفسدت حالتهم

الدنيوية أيضا بشدة. والحال نفسه سائد في هذه الأمة في العصر الراهن. الأحداث الماثلة للعيان تشهد بكل جلاء أن هذه الأمة وعلماءها قد حذوا حذو اليهود الذين كانوا في زمن المسيح عليه السلام حذو النعل بالنعل؛ فلم تبق فيهم أمانة وتقوى وروحانية ومعرفة للحقيقة، ولازَمهم الانحطاط الدنيوي أيضا كما كان في ذلك الزمن. وكما دمّر الملوكُ الرومان الولايات اليهودية وصار اليهود مصداقا لـــ ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾[1]، وكانوا نظرا إلى ضعفهم وعدم حيلتهم ينتظرون مسيحا يأتي كملك ويُعمل السيف في الرومان، لأن هذا ما وُعد به في أواخر التوراة؛ كذلك نرى قوما مسلمين أيضا في حالة الانحطاط والسقوط في أغلب الحالات وأكثرها. إذا بقيت ولاية فقد أضعفها النفاق الداخلي وخيانة الوزراء والعاملين، وكسل الملوك وتهاونهم وجهلهم وغفلتهم وإشباعهم رغباتهم وخمولهم لدرجة يبدون وكأنهم يتنفسون أنفاسهم الأخيرة. وكان هؤلاء القوم أيضا ينتظرون مثل اليهود مسيحا ينـــزل لنصرتهم بجلال عظيم في حلّة الملوك.

فلتنظر الآن العيون التي تبصر، ولتحكم القلوب التي تستطيع أن تعدل، ولتفكر العقول التي تقدر على التفكير وليفحصوا جيدا أليست هذه القضية وتلك سيان؟ اتركوا النبوءات جانبا لحظة واحدة وفكِّروا بالعقل كالمحققين فقط ثم انظروا، ألا تماثل حالة المسلمين في هذا العصر حالة اليهود في زمن المسيح عليه السلام كما يقال: "طابق النعل بالنعل"؟ اقرأوا الأناجيل بتأمُّل، ثم احكُموا؛ ألا يوجد في مشايخ المسلمين المعاصرين كل ما بينه المسيح عليه السلام من أحوال الكتبة والفريسيين اليهود وما ذكره من أنواع خيانتهم أم لا؟ أليس صحيحا أن علماءنا أيضا خائضون ليل نهار في نزاعات عبثية مثل علماء اليهود وكتبتهم؟ وقد تخلَّوا عن الروحانية تماما، ويسعون في تكفير الآخرين مع أنهم لا يدرون بأنفسهم ما الإسلام؟ وينصحون الآخرين بما لا يعملون به. يتخذون من

---

[1] البقرة: ٦٢

منصب الوعظ مهنة لكسب الخبز ويخرجون بعيدا لهذا الغرض، ويُفرحون الناس بكلام فارغ لا سند له ويأكلون المال الحرام، وليسوا أقل من اليهود في المكر والمكائد والخديعة. وكذلك هي حال أناس ماديين إذ يرى معظمهم كل نوع من الخيانة والكذب والزور في سبيل كسب الدنيا حلالا كحليب الأم. والذين يُعتبَرون زعماء وفي أيديهم ولايات ممزَّقة، وقد أهلكهم اللهو واللعب. كثير منهم يشربون الخمر كالماء، ولا ينفرون من الزنا أدنى نفور. لا تقربهم خشية الله في هزيع من الليل أو النهار. اقرأوا تاريخ اليهود تروا ما أشد المسلمون مماثلةً- من حيث فساد الدين والدنيا- باليهود الذين كانوا في زمن المسيح عليه السلام. كانت في التوراة نبوءة عن اليهود أن حُكمهم لن يزول ما لم يأت "شيلون" وكان المراد من "شيلون" هو المسيح عليه السلام. وهذا ما حدث على صعيد الواقع أن انقضّت سلطنة الروم قبل ولادة المسيح بفترة وجيزة على ولايات اليهود المتفرقة. ولما كان اليهود قد ضعفوا مثل المسلمين في هذا العصر بسبب النفاق الداخلي ونزاعاتهم اليومية والكسل وغلبة الجهل وكانت حالتهم الداخلية تبعث على التشاؤم؛ فسلّم اليهود أنفسهم للسلطنة الرومانية قبيل زمن المسيح. فكان ضروريا لتحقيق المماثلة أن يأتي "شيلون" في هذه الأمة أيضا عند دمارهم الديني والدنيوي تماما.

والحق أن القرآن الكريم أيضا قد أدلى بنبوءة مثلها عن زمن المسلمين الراهن والمماثل لزمن المسيح عليه السلام من حيث المدة والمستلزمات الأخرى كما يقول عز وجل: ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾[1]، أي من كل حدب ينسلون إلى الإسلام ويفسدون في أرضه ويتملكون بلاده ويجعلون أعزة أهلها أذلة. تعني هذه الآية أن قوم النصارى الذين هم فِرقة يأجوج ومأجوج يسعون إلى بلاد الإسلام من كل ارتفاع ويحرزون الغلبة ويسيطرون على البلاد الإسلامية رويدا رويدا حتى تبقى السلطنة الإسلامية بالاسم فقط كما هو الحال في هذه الأيام.

[1] الأنبياء:٩٧

انظروا إلى تطابُق الأحداث كيف شابه زمن مصائب الإسلام ودمار المسلمين الديني والدنيوي زمن اليهود في عهد المسيح عليه السلام. ثم انظروا كيف تطابقت نبوءة القرآن عن ضعف السلطنة الإسلامية وغلبة المعارضين مع النبوءة التي وردت في التوراة عن انحطاط السلطنة الإسرائيلية. غير أن هناك اختلافا بسيطا من حيث أسلوب البيان في نبوءة التوراة ونبوءة القرآن عن المجددين، بمعنى أنه قد بُشِّر في التوراة بمجيء "شيلون" عند نهاية السلطة الإسرائيلية وزوال العصا الذي أُريدَ به زوال السلطنة، أما القرآن فقد بُشِّر فيه بالنفخ في الصور عند ضعف قوة الإسلام وتموّج الفتن التي أُريدَ بها دجل الوعاظ المسيحيين. وليس المراد من النفخ في الصور هو القيامة لأنه قد مضت على تموّج فتن النصارى أكثر من مئة سنة و لم تقم قيامة. بل المراد من ذلك هو النفخ في صور الهداية بإرسال مهديّ أو مجدد، ونفخ روح الحياة من جديد في أموات الضلال، لأن النفخ في الصور لا ينحصر في إحياء الأجساد وإماتتها فقط، بل إن الإحياء الروحاني والإماتة الروحانية أيضا تتحققان بالنفخ في الصور دائما. كما أن المراد من النفخ في الصور في القرآن الكريم هو بعثة مجدد ليكسر غلبة الديانة المسيحية، فكذلك المراد من أمواج الفتن هو الدجل المذكور في الأحاديث باسم الدجال المعهود. لم يذكر الله تعالى في القرآن الكريم كلمة الدجال المعهود والمسيح الموعود كما في الأحاديث، بل ذكر مساعي النصارى المليئة بالفتن بدلا من الدجال. ففي الآية: ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ أيضا إشارة إلى ذلك. وكذلك لم يرد في القرآن الكريم ذكر المجدد المقبل بكلمة "المسيح الموعود"، بل أشير إليه بالنفخ في الصور ليُعلَم أن المسيح الموعود لن يظهر بأسلحة أرضية ومادية بل يكون مدار عروجه وازدهاره على النفخ من السماء، وسيجذب الناس إلى الحق والصدق بقوة الكلمات الحكيمة والآيات السماوية لأنه سيأتي في زمن الفتن العقلية وليس في زمن فتن السيف.

والحق أن الله تعالى يرسل النبي والمجدد دائما بحسب مقتضى كل فتنة، فكما أن قوى اليهود كلها كانت مسلوبة في زمن عيسى عليه السلام ولم يكن في أيديهم سوى المكر والزيف والكلام الفارغ، ووقعوا تحت سلطنة الروم نتيجة شناعة سلوكهم وسوء الإدارة ولم يكن في ذلك أيّ خطأ للرومان من حيث توسيع رقعة سلطنتهم، كذلك ذُكر في القرآن الكريم أن الحالة نفسها ستكون سائدة في زمن المسيح الموعود، فمثلا إن حالة المسلمين في الهند متردية لدرجة أنهم لا يستطيعون أن يعصوا مُصلحا بقوة السيف عند ظهوره، لأنه ليس لديهم سيوف أصلا. وقد استولى الإنجليز على عرش دلهي مثلما استولت سلطنة الروم على عرش اليهود، أيْ بسبب سوء تصرفات الملوك وفقدان المؤهلات فيهم، ولا خطأ للإنجليز في ذلك- من حيث حرصهم على توسيع رُقعة سلطنتهم- حتى يُرفع السيف عليهم بل ينطبق هنا مثل فارسي معناه: ما نعاني منه نحن إنما هو وبالُ أعمالِنا. لهذا السبب جاء مجدد هذا القرن بصِبغة المسيح، وسمِّي مسيحا موعودا بسبب شدة المماثلة. وهذا الاسم ليس اسما مصطنعا بل مست إليه الحاجة نظرا إلى التطابق في الظروف السائدة.

والجدير بالذكر أيضا أنه قد أشير إلى المسيح الموعود في القرآن الكريم في آية بكلمة ﴿رسل﴾، أيضا ولكن إذا كان السؤال: لماذا لم يُذكَر في القرآن بالكلمات نفسها التي وردت في الأحاديث؟ فجوابه: لئلا يخطئ القراء في الفهم فيظنوا أن المراد من المسيح الموعود هو في الحقيقة عيسى عليه السلام نفسه الذي نزل عليه الإنجيل، وكذلك أنَّ المراد من الدجال هو مفسد معين. لذا فقد أزال الله تعالى في القرآن الكريم جميع الشبهات من هذا القبيل، إذ أخبر أولا بوفاة عيسى عليه السلام بكل صراحة ووضوح كما هو واضح من الآية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[1]. ثم بيّن أنّ نبينا الأكرم ﷺ خاتَم النبيين فقال: ﴿وَلَكِنْ

[1] المائدة: ١١٨

رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[1]. ثم ذكر عصيان اليهود أكثر من مرة وأشار بالتواتر إلى أن هذا ما ستؤول إليه حالة عامة المسلمين وعلمائهم في الزمن الأخير. ثم بيّن أن النصارى سيحرزون الغلبة في الزمن الأخير وستنتشر مفاسد كثيرة على أيديهم، فتثور الفتن من كل حدبٍ وصوب، ويسعون من كل مرتفع، أي سيُظهرون قوتهم وعروجهم وعلوّهم،ويحرزون العلوّ من حيث القوة والسلطنة المادية أيضا، وتكون الحكومات والولايات الأخرى ضعيفة مقابلهم. وينالون العلوّ والتقدم في العلوم والفنون أيضا إذ يكتشفون أنواع العلوم والفنون ويخترعون صنائع نادرة وعجيبة. يبلغون الذروة في المكائد والمكر وحسن الإدارة وتكون هممهم عالية من حيث المهمات الدنيوية وإنجازها. ويفوقون الجميع في نشر دينهم والسعي والجهد لترويجه. كذلك يفوقون جميع الأمم من حيث تدبير المعاشرة والمعاملة والتجارة والتقدم في الزراعة. باختصار، يسبقون الجميع في كل شيء. هذا هو معنى: ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ لأن "الحَدَب" يعني الأرض المرتفعة، ومعنى النسل: السَبَقُ والمشي السريع. أي سيسبقون جميع الأمم في كل ما يُراد من الشرف والعلوّ. وهذه هي العلامة الواضحة لقوم آخرين الذين سُمُّوا يأجوج ومأجوج، وهذه هي علامة فئة القساوسة ذوي الفتن الذين اسمهم الدجال المعهود، لأن الحدَب هو الأرض المرتفعة، ففي ذلك إشارة إلى أنهم سيحظون بكافة أنواع العلوّ الأرضي ولكن سيحرَمون من العلوّ السماوي. فمن هنا يثبت أن هؤلاء القوم سُمُّوا يأجوج ومأجوج نظرا إلى عروج دولتهم. ومنهم أناس أبلغوا سعيهم في نشر الضلال منتهاه، وسُمُّوا الدجال الأكبر. فقال الله تعالى عند ذكره عروج الضلال بأنه عندئذ يُنفخ في الصور وتُجمع الفِرقُ كلها في مكان واحد. أما ذكر جهنم الذي جاء بعد هذه الآيات فهو بيان منفصل بحسب أسلوب القرآن الكريم لأن الأسلوب الشائع في

[1] الأحزاب: ٤١

القرآن هو أنه يذكر حادثا دنيويا أحيانا ويذكر الآخرة أيضا في معرض ذكره بسبب صلة ما، كما لا يجهل الذين يتدبرون في القرآن هذا الأسلوب المتداول.

الشق الثالث لمبحثنا هو: ما هو الدليل على أنني أنا المسيح الموعود الذي جاء ذكره في القرآن الكريم والأحاديث بأساليب مختلفة؟ لا أرى حاجة إلى الإسهاب في كتابة الأدلة على هذا الشق، إذ قد أثبتُّ في هذا الكتيب أن مجيء شخص من هذه الأمة باسم المسيح عليه السلام ضروري، وذلك لثلاثة أسباب.

أولا: لأن مماثلة نبينا الأكرم ﷺ التامة والكاملة مع موسى عليه السلام التي تتبين من الآية: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾[1] تقتضي ذلك، لأن الآية: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ تعلن بوضوح تام أنه كما كان موسى شاهدا على حسنات قومه وسيئاتهم كذلك النبي ﷺ أيضا شاهد. ولكن هذه الشهادة الدائمة لم تتسن لموسى عليه السلام بوجه دائم دون الاستخلاف، بمعنى أن الله تعالى أقام له عليه السلام- لإتمام الحجة من هذه الناحية- سلسلة الخلفاء الذين أتوا في الحقيقة خُدامًا للتوراة ومؤيدين لشريعة موسى عليه السلام إلى ١٤٠٠ عام ليكمِّل الله سلسلة شهادته بواسطة هؤلاء الخلفاء، ولكي يستحق أن يشهد يوم القيامة أمام الله تعالى على بني إسرائيل جميعا. كذلك جعل الله جلّ شأنه نبينا الأكرم ﷺ شاهدا على جميع أفراد الأمة المسلمة فقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ وقال أيضا: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[2]. والمعروف أن النبي ﷺ ما عاش في أمته بصورة ظاهرية إلا ٢٣ عاما فقط، ففي هذه الحالة لا جواب على السؤال عن كيفية شهادته على قومه إلى الأبد إلا القول بأنه على سبيل الاستخلاف. أي قد جعل الله تعالى للنبي ﷺ أيضا خلفاء إلى يوم القيامة على غرار موسى عليه السلام، وعُدّتْ شهادة الخلفاء

---

[1] المزمل: ١٦

[2] النساء: ٤٢

شهادةَ النبي ﷺ تماما، وبذلك تحقق مضمون الآية: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ من كل الجوانب والنواحي.

فباختصار، إن اعتقاد الشهادة الدائمة الذي يثبت بالتواتر من نص القرآن وهو مسلَّم به عند المسلمين جميعا لا يثبت من حيث العقل والتحقيق إلا إذا اعترفنا بدوام الخلافة. وهذا يثبت مبتغانا، فتدبّر.

ثانيا: مماثلة الخلافة المحمدية التامة والكاملة مع خلافة موسى توجب مجيء المسيح الموعود، كما يُفهَم من الآية: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي تعلن هذه الآية بوضوح تام أنه لا بد من مجيء مجدد باسم المسيح عليه السلام في القرن الرابع عشر لأن المماثلة بين الخلافة المحمدية والخلافة الموسوية لا تتحقق بوجه أكمل وأتم إلا إذا وُجدت المشابهة التامة في الزمن الأول والزمن الأخير أيضا. ومماثلة الزمن الأخير كانت في أمرين. الأول: تدهور حالة الأمة، والضعف في الرقي الدنيوي والفسادُ في الأمانة الدينية والإخلاصِ والتقوى. والثاني: أن يُبعث في ذلك الزمن مجدد باسم المسيح الموعود ويستعيد الإيمان مجددا. فالعلامة الأولى لا يقبلها فقط إخوتنا المسلمون بل يرون بأم أعينهم انحطاط المسلمين وازدهار قوم آخرين يحسبون دين المسلمين حقيرا مُهانا كما كان المجوسُ في زمن المسيح يعُدّون اليهود أذلاء مهانين بعد غلبتهم عليهم. ويرى المسلمون أيضا أن حالة علماء المسلمين وعامة الناس الداخلية ليست أقل سوءا من حالة اليهود، بل تبدو أسوأ منهم بعشرة أمثال لسوء الحظ. عندما نقرأ في الجزء الأول من القرآن الكريم آيات بحق علماء اليهود وتقول: تأمرون الناس بالبرِّ وتنسوْن أنفسكم، ولا تقصِّرون في إيذاء إخوانكم وتنغمسون في أنواع الأطماع والفجور والسيئات والمكائد السيئة والحيل لطلب الدنيا؛ يصعد من القلب صوت عفويا أن هذه الآيات كلها تنطبق على معظم مشايخنا.

فلما اعترف إخواننا بوجود إحدى هاتين العلامتين المتلازمتين في هذا الزمن فإن مَثَل الإعراض عن العلامة الثانية كمثل قول أحد إن الشمس طالعة دون شك ولكن النهار لم يطلع بعد.

على أية حال، لا مندوحة لعاقل من قبول أن التدبر في القرآن يُثبت حتما أنه يجب أن تطابق سلسلةُ الخلافة المحمدية الخلافةَ الموسوية تماما، كما يُفهم من كلمة: ﴿كما﴾. وإذا تحقق التطابق الكلي فلا بد أن يأتي من هذه الأمة أيضا في زمنها الأخير الذي هو زمن قرب القيامة خليفةٌ مثل عيسى عليه السلام، ليتم الحجة بالتعليم الروحاني والبركات لا بالسيف. ولأن المسيح جاء بعد موسى عليهما السلام بألف وأربع مائة عام لا مندوحة من قبول أيضا أنه يجب أن يظهر المسيح الموعود في هذا الزمن، والله لا يخلف الميعاد. والآن، يجب أن نرى كم من الناس ادّعوا أنهم المسيح الموعود في هذا العصر؟ ولو افترضنا جدلا أن عشرة أشخاص من المسلمين ادّعوا ذلك في العصر الراهن فينبغي أن يكون واحد من هؤلاء العشرة صادقا ومسيحا موعودا حتما لأن الآيات التي حددها الله سبحانه وتعالى تقتضي صادقا. ولكن ما دام شخص واحد فقط ادّعى أنه المسيح الموعود- في هذا الزمن الذي هو زمن ظهور المسيح الموعود بحسب كتاب الله والأحاديث- من بين مئتي مليون مسلم يقطنون في الهند والشام والبلاد العربية مثل العراق ومصر وغيرها؛ فإن تكذيب هذا المدعّي الذي ظهر في موعده يستلزم تكذيب النبوءة.

إن بعثَ المسيح الموعود على رأس القرن الرابع عشر ثابتٌ ومتحقق من الأحاديث والقرآن الكريم وكشوف الأولياء بحيث لا تكون هناك حاجة إلى بيانه. ثم الادّعاء الذي جاء في وقته ومحله تماما تقشعر لتكذيبه فرائص الـمُتقي.

فالدليل الأول على صدقي هو إعلاني في وقت حدّده سيد الرسل صلى الله عليه وسلم والقرآنُ الكريم وكشوف الأولياء لظهور المسيح الموعود. فما دام نبينا الأكرم صلى الله عليه وسلم هو نبي آخر الزمان وقد مضى بعد نبي آخر الزمان أيضا ١٣٠٠ عام

ففكروا في حديث ذُكرت فيه الدرجات السبع لمنبر أُريها النبي ﷺ في الرؤيا وعبّرها بألفية سابعة للدنيا، ثم فكِّروا جيدا هل هذا الزمن يستلزم ظهور المسيح الموعود بحسب ذلك الحديث أم لا؟

ثم تأملوا في الحديث: الآيات بعد المائتين، الذي استنبط منه العلماء أن الآيات الكبرى للقيامة ستبدأ في الظهور من القرن الثالث عشر، لأنه لو كان المراد من الآيات هو الآيات الصغرى لكان شرط "بعد المائتين" عبثا. إن وجود نبينا الأكرم ﷺ بحد ذاته علامة من علامات القيامة. فلو استُنبط من الحديث معنى أن العلامات الكبرى ستبدأ بالظهور بعد مائتَي عام فهذا غير صحيح بداهة لأنه لم تظهر أية علامة بعد مائتَي عام. لذا فقد استنتج منه العلماء بأن المراد من مائتين هنا هو مئتان بعد الألف، أي ألف ومائتَي عام. والعلماء مصيبون في هذا الاستنتاج لأنه مما لا شك فيه أن الفتن الكبرى ظهرت للعيان في القرن الثالث عشر، وانتشر طوفان الدجل في هذا القرن، وشوهد مشهد: ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ أيضا في هذا القرن نفسه، وسُوِّيت مئات الحكومات الإسلامية بالتراب وحاز النصارى علوًّا كبيرا.

الشق الثالث لمبحثنا هو أنه إذا كان هناك مسيح موعود قادما في هذه الأمة فما الدليل على أن ذلك المسيح هو هذا العبد الضعيف؟ لقد كتبتُ قبل قليل بعض الأدلة المدعومة بالقرائن في هذا الموضوع ولا أرى حاجة إلى إعادها. ولكن إذا كان المطلوب هو الأدلة من نوع خاص فينبغي التريث قليلا حتى ينـــزلها الله بنفسه تأييدا لعبده. الحقيقة أن الدعاوى من هذا القبيل لا تبلغ مبلغ الثبوت بالكامل بالأدلة العقلية أو النقلية وحدها ما لم تثبت بركات المدّعي بالتأييدات السماوية. هذه هي سنة الله التي جرت بالأنبياء عليهم السلام منذ القِدم. فمع أنه قد أُنبئ عن سيدنا ومولانا النبي الأكرم ﷺ في الكتب السابقة، ثم جاء ﷺ في الزمن الذي كان محتاجا إلى بعثة نبي ذي شأن عظيم، ولكن مع كل ذلك لم يكتف الله تعالى بالأنباء السابقة لإثبات صدق نبيه الصادق، ولم

يحسب القرائن الأخرى أيضا كافية بل أنزل من السماء آيات كثيرة تصديقا لنبيه المقدس حتى بانَ صدقه ﷺ ولمع نور الصدق كالشمس.

فليكن مفهوما على هذا المنوال نفسه أنه إذا كان هذا العبد الضعيف من الله تعالى وصادقا فيما يقول فلسوف يظهر الله تعالى صدقه بأنواع نصرته الخاصة، وسيُظهر على الدنيا بآياته الخاصة بأني من عند الله ولستُ صنيع مكائدي. ولما ثبت صدقي من خلال الآيات السماوية فلا يبقى سبب للإنكار لأنه قد أثبِتَت بالآيات السماوية نبوءات عظيمة ورسالات كبيرة، وثبت بها كون الكتب كلام الله، فكيف لا يثبت بها كوني مثيل المسيح؟

فكما ظلَّ الله سبحانه وتعالى يُثبت صدق عباده الصادقين كذلك سيثبت صدقي أنا أيضا. ويجب الانتباه أيضا إلى مدى الصعوبات التي واجهها اليهود في سبيل قبول نبوة المسيح عليه السلام. لقد ورد في الكتب السابقة أن عيسى سيأتي مَلِكا، ولكنه وُلد فقيرا مسكينا. كان مكتوبا فيها أن بمجيئه ستعود أيام ازدهار اليهود، وظل اليهود يظنون أنه سيحارب سلطنة الروم ويقيم سلطنة إسرائيل من جديد ولكن حدث العكس وسقط اليهود في مصيبة وذلة أكثر من ذي قبل. كذلك جاء في الكتب السابقة بأنه لن يأتي ما لم يأت إيليا إلى الدنيا ثانية، فظل اليهود ينتظرون نزول إيليا من السماء ولكنه لم ينــزل، وادّعى المسيح عليه السلام أنه هو المسيح الموعود، وقال أيضا بأن النبي يحيى هو إيليا. ولكن هذا التأويل لم يُعجب اليهودَ بل ظلوا ينتظرون نزول إيليا كما ينتظر المسلمون نزول عيسى في هذه الأيام. ولكن مع كل هذه العراقيل التي كانت عراقيل قاسية وصعبة في الحقيقة ما أضاع اللهُ نبيه الصادق، وأثبت بآيات كثيرة أنه صادق، ما استُنتج منه بالضرورة أنه هو المسيح الموعود فاعتُبر صادقا في نهاية المطاف.

فيا أيها الأعزة، اعلموا يقينا أن هناك طريقا واحدا فقط لإثبات صدق الصادق في قانون الله منذ القِدم، وهو أن يُثبت سبحانه وتعالى من خلال الآيات السماوية أن الله تعالى معه، وهو مقبول عنده. ففكروا الآن أن إعلاني لكوني المسيح

الموعود ليس أكبر من إعلان موسى وعيسى عليهما السلام. ثم فكروا مرة أخرى كيف قُبل هؤلاء الأنبياء العظام كلهم في الدنيا؟ هل بواسطة البركات والتأييدات السماوية أم كان هناك طريق آخر؟ فاعلموا أنه لا تبديل لسنة الله القديمة ولا تحويل. إن لم أكن من عند الله ولست إلا مفتريا مزيفا لن تكون عاقبتي حسنة بل سيهلكني الله بالخزي والهوان وسيجعلني عرضة للّعن والطعن إلى أبد الدهر لأنه ما من ذنب أكبر من أن يقول أحد بأني أُرسِلت من الله مع أنه لم يُرسَل في الحقيقة، ويقول بأني أُكرِمتُ بمكالمة الله وكلامُه ينـــزل على قلبي ويجري على لساني بينما لم تحدث المكالمة بينه وبين الله قط، ولم ينـــزل كلام الله على قلبه ولم يجر على لسانه قط. ألا لعنة الله على الكاذبين الذين يفترون على الله وهم في الدنيا والآخرة من المخذولين.

ولكن إذا كنتُ من الله، وهو الذي أرسلني والكلام الذي يوحَى إلي هو من عنده ﷻ فلن أُضاعَ قط، ولن أهلك بل سيهلك الله مَن تصدّى لي وحاول الحيلولة دون سبيلي. إنني لأستغرب لماذا يتعجب الناس من كلمة "المسيح الموعود"، ولماذا يطلبون مني دليلا على ذلك، مع أنه ليس من المحالات عند العقل أن يُبعث شخص على غرار المسيح من هذه الأمة أيضا التي هي مثيلة أمة موسى. من المسلَّم به عند الفلاسفة أيضا أن وجود بني آدم دوري؛ وهذا ما ثبت من سنة الله ونواميس الطبيعة أيضا أنه يولَد في هذه الدنيا بعض الناس أشباها لآخرين، فيولَد أشباه الصالحين وأشباه الطالحين أيضا. إذًا، فيجب أن يُطلَب إثبات كوني من الله، أما الإثباتات الأخرى كلها فتندرج تحته.

عندما أعلن نبينا الأكرم ﷺ للناس أنه مثيل موسى ورسول من الله، فالذين ثبتت لهم نبوته ﷺ لم يبق لديهم شك في كونه مثيل موسى أيضا، فكما آمنوا به ﷺ نبيًا كذلك آمنوا به مثيلا. إذًا، إن إثبات كون أحد من الله وملهَما صادقا هو أساس الإثباتات كلها. فمثلا لا يطلب أحد دليلا على كل كلمة

وردت في الكتاب الذي ينـــزل على نبي، بل بثبوت الرسالة تثبت بقية الأمور كلها تلقائيا.

فيا أيها الأعزة، لا يصحّ أن يسنّ الله تعالى قانونا جديدا من أجلي. انظروا إلى قانون الله القديم ثم اسألوني بحسبه.

وإضافة إلى ذلك قد ظهرت على يدي إلى يومنا هذا أي الجمعة ١١ ربيع الأول ١٣١١ من الهجرة الموافق لــ ١٨٩٣/٩/٢٢م و٨ أسوج ١٩٥٠ بحسب التقويم الهندي، ما يربو على ثلاثة آلاف آية يشهد عليها مئات الناس. بل يشهد على تحقق بعض النبوءات آلاف من الهندوس والمسيحيين وغيرهم من الأديان المعادية. وإذا نظرتم بنظر التحقيق لوجدتم أن هناك بعض الآيات التي شاهدها مئات الآلاف من أعداء الإسلام بأم أعينهم. ولا يزال على قيد الحياة أناس شاهدوا آيات كثيرة تفوق قدرة الإنسان. وهناك مئات من الذين أُخبِروا باستجابة دعائي قبل الأوان، ثم رأوا الأمر متحققا كما ذُكر. وهناك قرابة ستة عشر ألفا في الهند وإنجلترا وألمانيا وفرنسا وروسيا وروما من البانديتات وعلماء اليهود وزعماء المجوس وقسس المسيحيين والأساقفة الذين أُرسلت إليهم الرسائل المسجلة بأن الدين الصادق في الدنيا هو الإسلام وحده، أما الأديان الأخرى فقد بعُدت عن الحقيقة والصدق، وإذا انتاب أحدا من المعارضين شكٌّ في ذلك فليبرز للمواجهة ويرى مني آيات صدق الإسلام ماكثا عندي عاما. وإذا ثبت أني على خطأ فليأخذ مني مبلغ مائتَي روبية مقابل كل شهر غرامة عن عام كامل، وإلا لا نطلب منه مقابل ذلك شيئا إلا أن يعتنق الإسلام فقط. وإذا شاء نودعُ هذا المبلغ في أيّ مصرف يشاء ليطمئن قلبه؛ ولكن لم يتوجّه إلى هذا الأمر أحد.

والآن، يستطيع أن يدرك كل عاقل أنه لو لم أكن موقنا بنصرة الله يقينا كاملا يتأتّى بعد مشاهدات متواترة وتجارب شخصية، كيف كان ممكنا أن أقوم وحدي في وجه معارضي الإسلام جميعا حيثما كانوا على وجه الأرض،

أي مقابل أولئك الذين يُعَدّون أعداء الدين المعروفين، وهم زعماء أقوامهم؟ من المعروف أن الإنسان ضعيف البنيان لا يجد في نفسه قدرة قط لمواجهة العالم كله. فما الذي شجعني على هذا الإقدام سوى يقيني الكامل وتجاربي الشخصية؟ و لم يقتصر الأمر على المواجهات الشفهية بل أنفقت نحو ألفَي روبية على طباعة الإعلانات التي نشرتها بالإنجليزية والأردية وكذلك على إرسالها بالبريد المسجل داخل الهند وإلى بلاد أوروبية، ولكن لم يجرؤ أحد على المبارزة. فالرعب في قلوب المعاندين كان آية في حد ذاته. اسألوا على سبيل الاختبار فقط قسيسا أو غيره في الزمن الراهن؛ ألم تصلهم رسالة مسجلة تدعوهم إلى الإسلام؟ ثم فكِّروا هل يُعقل أن يكون مدار شخص على الكذب والافتراء ثم ينفق آلاف الروبيات على طباعة الإعلانات وإرسالها ويحدد مبلغا كبيرا جائزةً للمعارضين في حالة انتصارهم؟ هل قرأ أحد في الكتب أو سمع أو رأى مفتريا مثله إلى اليوم؟ فأتوا بنظيره!

أيها الأعزة، اعلموا يقينا أنه لا تتسنى للمرء هذه الاستقامة والشجاعة وبذل المال ما لم يكن الله معه. هل رأى أحد في هذا العصر شيخا أو سمع أنه أرسل رسالة واحدة ولو إلى نائب مفوض إنجليزي يدعوه إلى الإسلام؟ أما أنا فلم أكتفِ بذلك فحسب بل قد أرسلت الرسائل والإعلانات للدعوة إلى الإسلام إلى البرلمان في لندن وإلى الأمير ولي عهد الملكة المعظمة والأمير "بسمارك" أيضا، وإيصالاتها ما زالت بحوزتي. كتبتُ أيضا في تلك الإعلانات التي مضى على نشرها نحو عشرة أعوام أنني أشبه عيسى بن مريم عليه السلام من حيث كمالاته، وهذا دليل آخر على صدقي للمتفكرين، لأنه إذا كان الإعلان بكوني مثيل المسيح من كيد الإنسان دون إلهام من الله تعالى لما أمكن لي أن أنشر إلهامات متتالية من عندي لبيان صدق ذلك الإعلان قبل عشر سنوات بل اثنتي عشرة سنة قبل إعلاني بأني المسيح الموعود لأن كل شخص يستطيع أن يفهم أن الإنسان لا يقدر عادة على نسج المكائد إلى درجة أن يضع أساسا مسبقا لأمر

أو ادّعاء سيظهر للعيان بعد اثنتي عشرة سنة. ثم من أعجب العجائب أن يمهل الله مفتريا ظالـــمِا مثله لمدة طويلة حتى مضت على افتراءاته اثنتا عشرة سنة من اليوم، مع أن المفتري متجاسر ووقح في افترائه وعاقد العزم سلفا أنه سيدّعي كذا وكذا بعد اثنتي عشرة سنة وقد وضع أساسا لادّعائه سلفا أنه مثيل المسيح حتما! ولا يقول هذا الكلام جزافا بل يعُدّ نفسه مثيلا للمسيح مستندا إلى إلهام ويعدّ نفسه مثيلا له في الكمالات، وقطعة من جوهره الخاص. ثم لم يكتف بذلك فحسب بل نشر قبل ادّعائه بـــ ١٢ عاما كونه المسيح وأعلن على الملأ بكل صراحة ووضوح في كتابه "البراهين الأحمدية" بأن الله سماه عيسى، ووعده بأنه سيُميته موتا طبيعيا ويرفعه إليه ويطهِّره من تهم المنكرين كلها، ويجعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة. ثم لا يمهله الله فقط بل ينصره أيضا بالآيات بواسطة الإلهام ويُعِدُّ له جماعة، مع أنه ﷻ يقول في القرآن الكريم بأنه لا ينصر المفتري بل يهلِكه سريعا ويفرِّق شمل جماعته، حتى قال ﷿ لسيد الرسل بأنك لو افتريتَ أنت لقُطع منك الوتين.

فإذا لم يكن صحيحا أن الله يبطش سريعا بالمفتري الذي يسعى ليضل خلق الله بادّعاء النبوة كذبا فلا يصح الاستدلال عن النبي ﷺأيضا أنه لو كان كاذبا- والعياذ بالله- لبطش الله به. وإلى جانب هذه المهلة الطويلة ومئات التأييدات الإلهية ومئات الآيات دعا المعارضون أيضا آلاف الأدعية بنـــزول العذاب عليّ، ودعوا في مباهلتهم أيضا باكين متضرعين واستنـــزلوا عليّ العذاب ولكن لم يكن في نصيبهم إلا الخزي والذلة. والله جلّ شأنه يعلم أني لم أطلب نزول العذاب على أيّ عدو في أية مباهلة، وما دعوتُ بالموت على عبد الله الغزنوي الذي باهلني في أمْرتْسَر، غير أنه هو تضرع وابتهل كثيرا. كنت ولا أزال أهدف من المباهلة إلى أن تظهر آيات سماوية في تأييدي بوجه عام، وسيكفي خزيا وذلة للمباهل المعارض أن يُظهر الله تعالى انتصاري في كل موطن. فهذه كلها آيات صدقي ولكن للذي يتدبر.

من المؤسف أنني أُسأل مرة بعد أخرى: ما هو الدليل على صدق ادّعائك أنك أنت المسيح الموعود؟ إن هؤلاء الناس لا يفهمون ماذا كان الدليل على كون عيسى عليه السلام موعودا؟ وعلى كون نبينا الأكرم ﷺ خاتم النبيين الموعود؟ ألم يكن الدليل أن الله تعالى أثبت صدقهما بآيات كثيرة؟ ومع أن اليهود لم يقبلوا المسيح عليه السلام بل لا يزالون يقولون إلى يومنا هذا بأنه لم يكن مسيحا موعودا، ولكن ثبت أنه من عند الله بواسطة معجزاته وآياته[1]. أهم مطالبة يجب

[1] اتّهمني شخص يُدعى "هداية الله" بإنكار معجزات عيسى عليه السلام ونشر كتيبا واستنبط من بعض العبارات في كتابي "إزالة الأوهام" بحسب زعمه أني أُنكر معجزات المسيح عليه السلام نهائيا، والعياذ بالله. ولكن يجب أن يكون واضحا أنه خطأ نظرهم وقلةُ فهمهم. إنني لا أنكر كون المسيح عليه السلام صاحب المعجزات، ولا شك أنه قد ظهرت منه أيضا بعض المعجزات، مع أنه يقع اعتراض شديد على معجزاته بالنظر إلى ما ورد في الإنجيل مثل قصة البِركة، وإنكاره المتكرر ومن كونه صاحب معجزات، ولكن ما لنا والإنجيل إذ يثبت من القرآن الكريم على أية حال بأنه كان قد أُعطي بعض المعجزات. غير أنه من خطأ علمائنا قليلي الانتباه أنهم يظنون أنه كان يخلق قالب حيوان مثل خالق العالمين ثم ينفخ فيه فيطير حيا، وكان يضع يده على ميت فيمشي حيا. وكان قادرا على معرفة الغيب أيضا، وهو لم يمت إلى اليوم بل هو موجود في السماء بجسده المادي. فإذا كانت كل هذه الأمور المنسوبة إليه صحيحة فأيّ شك في كونه خالق العالَـــم وعالِـــم الغيب ومحيي الأموات؟ وإن استدل أحد من المسيحيين على ألوهيته، والحال هذه، بناء على مبدأ: وجود مستلزمات الشيء يستلزم وجود الشيء، فما الجواب على ذلك لدى إخواننا المسلمين؟ ولو قالوا بأن المعجزات من هذا القبيل تحدث نتيجة الدعاء لكان ذلك إضافةٌ على كلام الله، لأن ما يُفهم من القرآن الكريم هو أن ذلك الشيء المصنوع على هيئة الطير كان يطير بالنفخ فيه، ولم يرد في القرآن الكريم ذكر الدعاء قط، ولم يُذكَر أيضا أن الحياة كانت تدبّ في ذلك الشيء المصنوع على هيئة الطير. فلا يجوز أن نضيف شيئا من عند أنفسنا إلى كلام الله، لأن هذا هو التحريف الذي لُعن اليهود بسببه.

فلما لم تثبت الحياة فيه بل يثبت من تفسير معالم التنـــزيل وغيره من كتب التفســـير الكثيرة أن هيئة الطير تلك كانت تطير لوقت وجيز ثم تسقط على الأرض كالتراب، فماذا

أن تكون على كون المرء صادقا ومن عند الله، أما الدليل على كونه مثيلا فهذا يندرج تحته تلقائيا. فمع كل ذلك إن كافة مستلزماته الموجودة تعلن بأعلى صوتها بأنه لا بد أن يكون مجدد هذا القرن هو المسيح الموعود لأن علامات زمن المسيح الموعود التي حددها كلام الله المقدسُ قد تحققت كلها في هذا العصر. ألا ترون أن السلطنة المسيحية تلتهم بلاد العالم كلها، وهي حائزة على كل نوع من العلو وينطبق عليهم: ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾؟ أما حالة الإسلام من حيث الدين والدنيا فمتدهورة كتدهور حالة اليهود في زمن المسيح عليه السلام. وكما جاء المسيح في وقت كان رفع السيف فيه من أجل الدين غير مناسب مطلقا لأن اليهود كانوا قد فقدوا سلطنتهم بسبب سوء تصرفاتهم، ولم تكن سلطنة الروم مخطئة في ذلك- من حيث توسيع رقعة سلطنتها- حتى يُرفَع السيف عليها؛ فالحال نفسه ينطبق اليوم على المسلمين، بحيث فقد الملوك المسلمون مُلكهم نتيجة أعمالهم غير اللائقة وانغماسهم في اللهو واللعب، ولم تعد فيهم ملَكة لإدارة البلاد والحفاظ عليها، فسلّم الله تعالى الملكَ إلى الإنجليز،

يمكن أن نفهم من ذلك إلا أنها كانت التراب نفسه ليس إلا. وكما أن الألاعيب الترابية تتحرك بقوة أدوات من صنع الإنسان كذلك كانت تلك الألاعيب تتحرك نتيجة سريان روح نبي فيها. وإلا لو قُبلت الخالقية الحقيقية لاستلزم ذلك شركٌ وفساد عظيم. المقصود الحقيقي هو المعجزة، وإن طيران شيء ميت مع عدم وجود الحياة فيها معجزة كبيرة. ولكن إذا وُجد في قراءة من قراءات القرآن لهذه الآية: "فيكون حيا"، أو ثبت تاريخيا أن تلك الطيور كانت تحيا في الحقيقة وكانت تبيض أيضا، ولا تزال طيور كثيرة من نسلها موجودة إلى الآن فيجب إثبات ذلك. يقول الله تعالى في القرآن الكريم بأنه لو أرادت الدنيا كلها مجتمعة أن تخلق ذبابة لما استطاعت أن تخلقها لأن ذلك يستلزم تشابها في خلق الله. وأما القول بأن الله تعالى أذِنَ له ليكون خالقا فذلك افتراء على الله تعالى، إذ لا تناقض في كلام الله. والله تعالى لا يأذن لأحد بمثل هذه الأمور، إذ لم يأذن عز وجل لسيدِ الرسل صلى الله عليه وسلم بأن يخلق ذبابة واحدة، فكيف أذِن إذًا لابن مريم بذلك؟ اتقوا الله ولا تحملوا المجاز محمل الحقيقة، منه.

و لم يظلموا بأخذ الملك شيئا و لم يمنعوا أحدا من الصلاة أو الصوم، أو الحج بل أقاموا الحرية والأمن العام. فأنّى كان لله الكريم الرحيم أن يأمر برفع السيف عليهم مع كونهم محسنين؟ هل كان السيف المادي هو الوسيلة الوحيدة لديه ﷺ لنشر الإسلام دون السيف الروحاني؟ وزدْ إلى ذلك أن الإيمان الذي يأتي بالسيف ليس جديرا بالثقة في هذه الآونة. لم يُدخِل الإنجليز في دينهم أحدا بقوة السيف حتى يواجَه السيفُ بالسيف. بل هلك الناس نتيجة الفلسفة الجديدة ومذهب الطبيعة ووساوس القسس، والرد عليها يمثّل إثبات صدق الإسلام وليس إطلاق السيف على الناس. فقد أرسل الله تعالى في المسلمين بحسب مقتضى حالتهم مصلحا مثل المسيح دون السيف والسنان، وأعطاه حربةً سماوية فقط للقضاء على الدجالية. وجاء المسيح الموعود على رأس القرن الرابع عشر كما يُستنبَط العددُ ١٤٠٠ بحسب حساب الجمّل من عبارة: "**عيسى عند منارة دمشق**". ولما كانت القيمة العددية للآية: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ هي ١٢٧٥ بحسب حساب الجمّل، فقد أُعِدَّ ذلك المصلحُ في الزمن نفسه لإصلاح الخلق. وكما بشّر القرآن الكريم أنه سيُنفخ في الصور عند تموّج فتن النصارى، فقد ظهر ذلك المصلح بحسب ذلك تماما. وقد أنبأ قبل الأوان كثير من عباد الله بظهوره بإلهام من الله تعالى بل أخبر بعضهم باسمه أيضا قبل ٣٢ عاما من ظهوره وقالوا بأنه هو المسيح الموعود وأن عيسى الحقيقي قد مات. وقد حدد كثير من أصحاب الكشوف أن زمن مجيئه هو القرن الرابع عشر وسجّلوا إلهاماتهم أيضا. فأيّ دليل أكبر– بعد كل ذلك– لإثبات أمور يجب أن يُترك فيها بعض المجال للإيمان بالغيب أيضا؟

وبالإضافة إلى ذلك هناك بعض من آياتي العظيمة الأخرى وهي لا تزال في معرض الامتحان والاختبار، منها النبوءة عن المنشي عبد الله آتهم الأمرتسري التي ميعادها خمسة عشر شهرا بدءا من ٥ حزيران/يونيو ١٨٩٣م، والنبوءة بموت الباندت ليكهرام الفشاوري التي ميعادها ستة أعوام بدءا من ١٨٩٣م،

والنبوءة بموت صهر مرزا أحمد بيك الهوشياربوري- وهو من سكان قرية "بتّي" محافظة لاهور- وبقي من ميعادها نحو ١١ شهرا من تاريخ اليوم أي ١٨٩٣/٩/٢١م. فكل هذه الأمور التي تفوق قدرات البشر تكفي للتمييز بين الصادق والكاذب لأن الإحياء والإماتة في يد الله. وما لم يكن أحد مقبولا عند الله إلى حد كبير فلا يهلك الله أحدًا من أعدائه من أجله ونتيجة دعائه، ولا سيما حين يَعُدّ ذلك الشخص نفسَه من الله تعالى، ويعدّ كرامته تلك دليلا على صدقه.

إذًا فإن النبوءات ليست بشيء هيّن، وليست مما هو في قدرة الإنسان بل هي في يد الله جلّ شأنه فقط. فإذا كان هناك من يبحث عن الحق فلينتظر مواعيدها. هذه النبوءات الثلاثة المذكورة آنفا تشمل ثلاثة أقوام كبيرة في الهند والبنجاب، أي إحداها تتعلق بالمسلمين والأخرى بالهندوس والثالثة بالمسيحيين. النبوءة التي تتعلق بالمسلمين عظيمة جدا وأجزاؤها:

(١) أن يموت مرزا أحمد بيك الهوشياربوري في ميعاد ثلاثة أعوام.

(٢) وأن يموت صهره الذي هو زوج ابنته الكبرى في سنتين ونصف.

(٣) وألا يموت مرزا أحمد بيك إلى يوم زواج ابنته الكبرى.

(٤) وألا تموت تلك البنت أيضا إلى الزواج والترمل وقِرانها الثاني.

(٥) وألا أموت أنا أيضا إلى تحقق كل هذه الأحداث.

(٦) أن يتم نكاحها معي. والمعلوم أن كل هذه الأمور ليست في قدرة البشر.

وإن لم تكن في كل هذه الإثباتات كفاية لِـــــ "ميانْ عطاء محمد" فالطريق الأسهل هو أن يقرأ هذا الكتيب بإمعان ثم يخبرني بإعلان منشور أنه لم يقتنع بما ورد فيه ولا يزال يعدّه افتراء، ويريد أن تظهر بحقه آية. فسأركِّز على أمره بإذن الله، وأنا على يقين كامل بأنه ﷻ لن يجعلني مغلوبا مقابل أي معارض لأني من عنده، وجئت بأمره لتجديد دينه. ولكن عليه أن يسمح لي بوجه عام عن طريق

إعلان منشور أن أنشر كما أشاء إلهاما أتلقاه بحقه. إنني أستغرب لماذا هو متضايق، بينما يجب على المسلمين أن يفرحوا لظهور مجدد، ولماذا يستاء من أن الله تعالى قد بعث شخصا لإتمام حجة دينه؟ ولكنني أعلم أن حالة معظم المسلمين الموجودين الإيمانية ردّية جدا، وسموم الفلسفة الحالية قد استأصلت معتقداتهم من جذورها. لا شك أنهم يرددون اسم الإسلام باللسان ولكن قلوبهم بعيدة عنه كل البُعد، وصار كلام الله وقدراته مدعاة للضحك عندهم. وهذه هي حالة ميانْ عطاء محمد أيضا.

أذكر أنه عندما أخبرتُ السيدَ عبد الله آتهم، في أمرتسر، عن النبوءة بموته جاء ميان عطاء محمد إلى مكان إقامتي وقال ضاربا مثلا بأن طبيبًا أنبأ بموته قائلا بأن عطاء محمد سيموت في غضون مدة كذا، ولكن مرت تلك المدة بخير، ثم ذهب إلى ذلك الطبيب وسلّم عليه فقال له الطبيب: من أنت؟ قال: أنا عطاء محمد نفسه الذي تنبأتَ بموته. فكان يقصد من سرده هذه القصة بأن هذه الأمور كلها كذب ولغو. ولكن فليعلم ميان عطا محمد بأن ضربه مَثل ذلك الطبيب لا يُثبت إلا أنه يجهل النور السماوي كليا. لا شك أن هناك ذاتًا سُمِّيت بـــ"الله"، وهو ليس محدودا في زمن من حيث تأييد دينه الحق بل يُري الآيات السماوية عند الضرورة دائما، ويقيم إيمان الدنيا من جديد. يتبين من ضربك مثال الطبيب مدى إيمانك بالله تعالى!! والآن أرى من المناسب أن أنهي هذا الكتيب هنا.

فالحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا هو مولانا نعم المولى ونعم النصير.

الـــمؤلف

العبد الضعيف غلام أحمد القادياني

يوم الجمعة، ١٨٩٣/٩/٢٢م، قاديان

جدير بانتباه الحكومة

أقول أنا العبد الضعيف بكلمات واضحة ووجيزة بأن منن الحكومة الإنجليزية المحسنة حالفت هذه العائلة منذ زمن والدي المرحوم مرزا غلام مرتضى إلى يومنا هذا، لذا إن عواطف الشكر تجاه هذه الحكومة الكريمة مترسخة في كل ذرة من كياني دون أدنى تكلّف. لا يمكن أن تُفصَل عن سوانح والدي المرحوم تلك الخدمات التي أدّاها لصالح هذه الحكومة بإخلاص القلب. لقد أظهر صدقه ووفاءه دائما قدر استطاعته وقدرته لخدمة الحكومة في ظروفها المختلفة وعند حاجتها، بما لا يمكن للإنسان إبداؤه ما لم يكن ناصحا أمينا لأحد بصدق القلب ومن الأعماق. ففي مفسدة عام ١٨٥٧م حين أثار الناس قليلو الأدب ضجة في البلاد متمردين على حكومتهم المحسنة، اشترى والدي المحترم خمسين فرسا من جيبه الخاص وقدّمها للحكومة مع الفرسان. كما خدمها بتقديم ١٤ فارسا بمناسبة أخرى. فبسبب هذه الخدمات المخلصة صار محبَّبا عند الحكومة، فكان يُعطى كرسيا في بلاط الحاكم العام بكل احترام. وكان الحكام الإنجليز من كل المستويات يعاملونه باحترام وتقدير. لقد أرسل أخي ليشترك في بعض الحروب لخدمة الحكومة فقط، ونال استحسان الحكومة في كل باب، حتى انتقل من هذه الدنيا الفانية بعد أن قضى عمره كله مصحوبا بسمعة جيدة. وبعد ذلك ظل أخي الأكبر مرزا غلام قادر عاكفا على خدمة الحكومة بإخلاص قلبا وروحا طوال حياته متأسيا في ذلك بأسوة والدي المرحوم، حتى انتقل من هذه الدنيا الفانية. أتوقع أن كثيرا من الحكام الإنجليز الذين عهدوا والدي وشاهدوا خدماته المخلصة بأم أعينهم لا يزالون على قيد الحياة. ومن جملتهم "مستر غريفن" الذي ألّف كتابا عن زعماء البنجاب وذكر فيه والدي بخير.

أما أنا، فقد صرف الله تعالى قلبي عن الدنيا بعد وفاة هؤلاء الأعزة والصلحاء، وودتُ أن تكون علاقتي بالله تعالى مبنية على الصدق والإخلاص والحب الكامل. فملأ الله ﷻ قلبي بحبه ولكن ليس نتيجة سعيي أنا بل بفضله المحض. فأحببتُ أن أتقدم في معرفة الله وحبه جهد المستطيع، وأعلم على الوجه الصحيح من هو اللهُ، وفيمَ يكمن رضاه، فطهَّرتُ قلبي من كل تعصب وأبصرت بعد أن نــزَّهتُ عيني من الشوائب كلها، واستعنتُ بالله فانكَشف عليّ وأطلعني ﷻ بإلهامه المقدس بأنه تعالى هو الذات الكامل في جميع صفاته، ولا يزال بحالة واحدة منذ الأزل، لا تتطرق إليه ظاهرة الحدوث، لا يولَد ولا يموت. وليس لمن يولَد أو يموت علاقةٌ به ﷻ- إلا علاقة العبودية- حتى يقال بأنه شريك له في ألوهيته. بل إن هذا التصور أسوأ من إنكار وجوده ﷻ وفكرةٌ شنيعة إلى أقصى الحدود وأسوأ من جميع سيئات الإنسان.

صحيح تماما أن أعلى الناس مرتبة من بين عباد الله المقبولين هم الأنبياء والرسل. لا شك أنهم أحباء الله والمقبولون عنده، ومُكرمون للغاية. قد فنَوا فيه وانصبغوا بصبغته ﷻ، وظهر جلال الله تعالى من خلالهم، إن الله فيهم وهم في الله. ولكن لا يمكن أن نحسب أحدا منهم إلــها ولا ابن الإلــه بالمعنى الحقيقي. لا شك أن المسلمين على حق في هذا النــزاع مع المسيحيين، والمسيحيون على خطأ. ولكن لا يبدو أن هذا الخطأ سيبقى قائما في المسيحيين في هذا العصر. إن الإنجليز قوم يريد الله أن يجذبهم إلى الازدهار والثروة والعقل والفطنة يوما بعد يوم، فهم يتقدمون في الصدق والحق والعدل يوما إثر يوم. أما العلوم الجديدة والقديمة فيبدو كأنهم ينبوعها، لذا هناك أمل قوي أن يهبهم الله تعالى هذه الثروة أيضا بل قد وهبها لقلوبهم في رأيي.

على أية حال، ما دام الله تعالى قد أقام لنا في هذا القوم حكومة لإدارة نظامنا المادي وأمورنا الدنيوية، وقد عهدنا منهم مننًا لا يسهل أداء الشكر عليها، لذا نؤكد لحكومتنا الكريمة بأننا مخلصون وناصحون أمناء لها كما كان

أسلافنا. ليس في أيدينا إلا الدعاء، فندعو الله تعالى أن ينقذ هذه الحكومة من كل شرٍّ، ويهزم أعداءها بالخزي والذلة. لقد أوجب الله تعالى علينا شكر حكومة محسنة كشكره هو ﷻ. فإن لم نشكر هذه الحكومة المحسنة أو أسْرَرنا في نياتنا شرا فلم نشكر الله أيضا، لأن شكر الله وشكر حكومةٍ محسنة ينعم الله بها على عباده شيء واحد ومرتبط ببعضه، وإنّ ترْكَ أحدِهما يستلزم ترك الثاني.

يسأل بعض الحمقى وقليلو الفهم: هل يجوز الجهاد ضد هذه الحكومة أم لا؟ فليكن واضحا أن سؤالهم هذا ينمّ عن حمق شديد، وإلا ما معنى الجهاد ضدّ مَن شكره على مننه فرض وواجب؟ أقول صدقا وحقا بأن خيانة المحسن شيمة شخص وقِح وذي طوية سيئة. فمذهبي الذي أؤكد عليه مرارا وتكرارا هو أن الإسلام جزءان؛ الأول: طاعة الله والثاني طاعة السلطنة التي أقامت الأمن وهيّأت لنا تحت ظلها ملاذا من أيدي الظالمين، وتلك السلطنة هي الحكومة البريطانية. صحيح أننا نختلف مع الأقوام الأوروبية في الدين، ولا نبيح بحق الله تعالى أمورا يبيحونها، ولكن لا علاقة لتلك الأمور الدينية مع العلاقة بين الرعية والحكومة. إن الله تعالى يعلّمنا بصراحة تامة أن تشكروا وتطيعوا الملك الذي تعيشون في ظله بأمن وسلام. لذا إذا تمرّدنا على الحكومة البريطانية فكأننا نتمرد على الإسلام وعلى الله وعلى الرسول. ففي هذه الحالة مَن يكون أكثر منا خيانة لأننا نبذنا قانون الله والشريعةَ وراء ظهورنا. لا يمكن الإنكار أن كثيرا من المسلمين الذين غلب عنادُهم عدلَهم إلى درجة فينتظرون لجهلهم مهديا دمويا يجعل الأرض محمرَّة بدماء المعارضين، وليس ذلك فحسب بل يزعمون أيضا بأن المسيح عليه السلام أيضا سينزل من السماء للغرض نفسه، ليُسيل على الأرض نهرا من دماء اليهود والنصارى الذين ينجون من يد المهدي ويبقون على قيد الحياة. ولكن هذه الأفكار التي يكنّها بعض المسلمين مثل الشيخ محمد حسين البطالوي وجماعته خاطئة تماما وتعارض كتاب الله معارضة صريحة. إن هؤلاء الأغبياء لا يحبون غير سفك الدماء، ولا يوجد فيهم حب خلق الله ولا

مواساهم قيد شعرة. أما مذهبنا الحق والصادق الذي بسببه يكفِّرنا هؤلاء القوم هو أنه لن يأتي أحد باسم المهدي، أما المسيح الموعود فقد أتى. ولكن لن يُستخدَم سيف، بل سينقلب الدهر إلى التوحيد بالأمن والصدق والحب. الوقت آتٍ بل هو قريب حين لن يُعبَد على الأرض رام تشندر ولا كرشنا، ولا المسيح عليه السلام، بل سيتوجّه العابدون الصادقون إلى الإله الحق. وليكن معلوما أن مراعاة حقوق مَلك نعيش تحت ظله بأمن وسلام إنما هو أداء حقوق الله في الحقيقة. وحين نطيع مثل هذا الملك بصدق القلب فكأننا نؤدي العبادة. هل يمكن أن يعلّم الإسلام أن نسيء إلى من أحسن إلينا؟ ونرمي بالنار مَن يهيئ لنا ملاذا في ظل ظليل؟ وأن نمطر بالحجارة من يعطينا خبزا؟ من يكون أوقح من الذي تخطر بباله الإساءةُ إلى من أحسن إليه؟

الهدف من وراء كل هذا التمهيد هو أن نؤكد للحكومة أننا شاكرون لها من الأعماق، ومنصرفون إلى مواساتها بكل ما في وسعنا. ولقد تناهى إلى أذني أن شخصا يسكن في مدينة بطالة في محافظة غورداسبور، ويعرّف نفسه بالشيخ أبي سعيد محمد حسين، يشي إلى الحكومة- بناء على اختلاف الرأي معي في بعض الأمور الجزئية، وبناء على عداوته الشديدة لي ولفقدان العدل عنده ونتيجة حماس السبُعيّة- أمورا تخالف الواقع لتسيء بي الظن. ويكذب عند الحكومة عن علاقة عائلتي المخلصة معها ومواساتها لها، ويسعى ليكتمها ويدفنها تحت افتراءاته. وبمحض ثورة عداوته وحسده الشخصي يركز على أنني لست مخلصا أمينا للحكومة والعياذ بالله.

هذا الغبي لا يفكر قطعا أنه لا تنشأ في المكائد الزائفة والافتراءات الكاذبة قوة مثلما تكون في الصدق بصورة طبيعية. إن تجليا واحدا لقوة الحق ينسف جبل الكذب نسفًا. وإن عفونة العناد والإلحاد التي توجد في الكذب لا يمكن أن تخفى على حاسة الشم التي وهبها الله تعالى الحكامَ. مع أن كل افتراءاته من هذا القبيل جديرة بأن نلاحق تجاسره بواسطة المحكمة بسبب هتكه شرفنا،

ولكني رأيت من المناسب أن أكتفي بإطْلاع الحكومة الكريمة على افتراءاته. وإنني آمل أن الحكومة الحكيمة ستدرك حقيقة تُهمه هذه جيدا وتصل إلى كنهها بانتباه بسيط، وأنه لا بد من احتواء مثل هذا المفسد لكيلا يتجاسر أحد من ذوي نفوس خبيثة على تصرفات غير لائقة مثلها في المستقبل. لا تجهل حكومتنا الحكيمة والعادلة أن من واجب كل مخبر أن يحقق أولا على وجه القطعية في أمر يريد أن يُطلع الحكومة عليه ثم يُظهر فيه رأيه القاطع. والآن يمكن للحكومة العادلة أن تكلِّف نفسها، إن أرادت، من أجل عائلة مخلصةٍ لها قد سبق أن أعطتها شهادات عليا تشهد على رضاها عنها أن تستدعي هذا الواشي الكاذب الذي يشي إلى الحكومة بواسطة مجلته "إشاعة السنة" أمورا تخالف الحقيقة، وأن تطلبَ منه الدلائل والأسباب التي بناء عليها حسبني مفسدا ضد الحكومة الإنجليزية. وإن لم يقدر على بيان أدلة مقنعة فلتعاقبه بحسب مقتضى القانون لأن هذا ما تقتضيه الحكمة تماما، وفي ذلك مراعاة لعائلة مخلصة ومواسية لها. مع أن هذا النوع من الحماس يوجد أيضا في عبارات بعض الذين يعارضوننا في الدين مثل القسيس عماد الدين وغيره، ولكنهم معذورون في ذلك إلى حد ما بسبب عدم علمهم وحماسهم الديني وتعصبهم الأعمى الذي لا علاج لها فلا يقدرون على قول الصدق، ولكن هذا الشيخ البطالوي قد تجاوز الحدود. فعلى الحكومة العادلة أن تنظر في عباراته الصادرة بحقي في ١٨٩٢-١٨٩٣م، ما ورد بحقي في مجلته "إشاعة السنة" وكذلك في عام ١٨٨٤م ليُعلَم أن هذا الشخص منافق وكاتم الحق وذو وجهين. مع أنني أعلم أن مثل هذه المكائد لا تنطلي على الحكومة الفطينة والذكية والعادلة وواسعة المعلومات، وأن هذه الحكومة عميقة الفكر فتشعر بحقيقة الأمر بسهولة وترى الوشايات المبنية على التعصب حسدا حقيرا ومخجلا، ولكن لا ينـــزل على الحكومة وحي على أية حال، لذا من الممكن أن تنخدع بكلام بعض الأشرار حين يقولون

ذلك بلسان واحد، كما يمكن للإنسان أن ينخدع بشكل عام، لذا رأيت من الضروري أن أوضح الأمر قليلا.

والآن أنقل لملاحظة الحكومة فقرة وجيزة من مجلته المذكورة آنفا أيْ "إشاعة السنة" عام ١٨٨٤م العدد ٦ المجلد ٧ وقد جاءت هذه الفقرة تعليقا على كتابي "البراهين الأحمدية" لتطلع الحكومة الفطينة على ما كتبه هذا الشخص بحقي من قبل وما يكتبه الآن. وتلك الفقرة هي:

الرد على الطعن السياسي

لا يوجد بين معاصرينا أعلم منا بأحوال مؤلِّفِ "البراهين الأحمدية" وأفكارِه. فوطننا واحد، بل كنا زميلَين في الدراسة منذ مقتبل العمر حين كنا ندرس معًا "القطبي" و"شرح ملا". ومنذ ذلك الحين لا تزال المراسلات واللقاءات مستمرّة بيننا إلى اليوم دون انقطاع لذا فإن قولنا بأننا أعلم بأحواله وأفكاره جدير بألا يُؤخذ مأخذ المبالغة.

لم تقرَب المؤلفَ فكرة معارضة الحكومة الإنجليزية و لم تخطر بباله قط، بل لا يوجد في عائلته كلها شخص يكنّ مثل هذه الأفكار، فضلا عنه. بل إن والده المحترم والمكرَّم مرزا غلام مرتضى قد أثبت بعمله وعلى أرض الواقع في أثناء زوبعة التمرد أيْ مفسدة عام ١٨٥٧م أنه مواسٍ ومخلص ووفيّ للحكومة. حين تمرد المفسدون الأشرار في أثناء هذه المفسدة في "نهر ترمون" المتصل بغورداسبوره اشترى والده المحترم- مع أنه ما كان عندئذ زعيما كبيرا أو صاحب عقارات واسعة النطاق- من جيبه الخاص خمسين فرسا مع عدة وعتاد وقدمها للحكومة عونا لها مع فرسانٍ تحت إمرة ابنه العزيز المرحوم مرزا غلام قادر. وقد شكرته الحكومة على ذلك وأعطته جائزة أيضا اعترافا بهذه الخدمة. إضافة إلى ذلك كان مرزا المرحوم (والد المؤلف) محل تكريم الحكومة ولطفها دائما بناء على تلك الخدمات. وكان يُمنح كرسيا تقديرا واحتراما في بلاط الحاكم. وكان الحكام والمسئولون في المحافظة والمديرية (أي المفوضون ونوّابهم)

يعطونه بين الفينة والفينة شهادات توحي برضاهم له، وعديد من هذه الشهادات موجود عندي الآن. يتبين من هذه الشهادات أنها كُتبت بحماس قلبي شديد ولا يمكن كتابتها بحق أحد إلا من كان مواسيا خاصا ووفيا صادقا. كان معظم المفوضين ونائبوهم يذهبون أثناء جولاتهم الرسمية إلى بيت مرزا المحترم لمقابلته مراعاةً له وجبرا لخاطره مدفوعين بحسن أخلاقهم وحبهم. وقد أبدى المفوض العام والمفوض المالي والحاكم حزنهم الشديد من خلال رسائلهم عند وفاته، ووعدوا بتقدير هذه العائلة ومراعاتها والاهتمام بها في المستقبل. وتقديرا للعائلة على كونها ناصحة أمينة منذ القِدم فقد شفع المفوض المالي شفاعة خاصة لتعيين مرزا سلطان أحمد (ابن المؤلف) في منصب المسئول الأعلى في المديرية، وقد أُرسلت هذه الشفاعة إلى المحافظة مع الأمر بتنفيذها.

فباختصار، إن هذه العائلة ظلت ناصحة أمينة للحكومة ومورد ألطافها منذ القِدم. لتصديق هذا الأمر نورد فيما يلي ثلاث رسائل من جملة الرسائل التي عندنا لكي يطلّع الحساد المستهترون على مدى احترام هذه العائلة ومنـــزلتها عند الحكومة الإنجليزية فيرتدعوا عن إرادتهم السيئة ونيتهم الفاسدة، ولكيلا ينخدع بهم عامة المسلمين فيسيئوا الظن بهذا الكتاب ومؤلفه أو يتوحّشوا ضده.

نسخة رسالة	ترجمة رسالة
(جي نكولسن المحترم) نمبر٣٥٣ تہور پناہ شجاعت دستگاہ مرزا غلام مرتضیٰ رئیس قادیان حفظہ عریضہ شما مشعر بریاد دہانی خدمات و حقوق خود و خاندان خود بملاحظہ حضور اینجانب درآمد ماخوب میدانیم کہ	(جي نكولسن المحترم) رقم ٣٥٣ إلى السيد مرزا غلام مرتضى خانْ زعيم قاديان حفظه. لقد اطلعت على طلبكم الذي ذكّرتموني فيه بخدماتكم وخدمات عائلتكم سابقا وحقوقكم. وإني على دراية أنكم وعائلتكم ظللتم بالتأكيد

بلاشک شما از ابتدائے دخل حکومت سرکار انگریزی جان نثار وفا کیش ثابت قدم ماندہ اید و حقوق شما دراصل قابل قدر اند بہر نہج تسلی و تشفی دارید سرکار انگریزی حقوق و خدمات خاندان شما ہرگز فراموش نخواہد کرد بموقعہ مناسب بر حقوق و خدمات شما غور و توجہ کردہ خواہد شد باید کہ ہمیشہ ہواخواہ و جان نثار سرکار انگریزی بمانند کہ دریں امر خوشنودی سرکار و بہبودی شما متصورست المرقوم ۱۱- جون ۱۸۴۹ء لاہور۔انار کلی	مخلصين وموثوق بهم بين رعايا الدولة، منذ مجيء الحكومة البريطانية، وإن حقوقكم جديرة بأن ينظر فيها بحق. وعلى كل حال يمكنكم الاقتناع والاطمئنان أن الحكومة البريطانية لن تنسى أبدا حقوق عائلتكم وخدماتها التي ستنال التقدير المستحق في الفرصة المناسبة السانحة. عليكم أن تظلوا رعايا مخلصين وموثوقا بهم لأن في ذلك رضا الحكومة ومصلحتكم. في ١١/٦/١٨٤٩م أنار كلي بلاهور

نسخة رسالة	ترجمة رسالة
(روبيرت كاست، المفوض العام بلاهور) تہور و شجاعت دستگاہ مرزا غلام مرتضیٰ رئیس قادیان بعافیت باشند۔ ازانجاکہ مفسدہ ہندوستان موقوعہ ۱۸۵۷ء ازجانب آپ کے رفاقت و خیرخواہی و مدددہی سرکار دولتمدار انگلشیہ درباب نگاہداشت سواران و بہم رسانی اسپان بخوبی بمنصہ ظہور پہنچی اور شروع مفسدہ سے آج تک آپ بدل ہواخواہ سرکار رہے اور باعث	روبيرت كاست، المفوض العام بلاهور، إلى مرزا غلام مرتضى خان زعيم قاديان. لما كنتم قد قدمتم مساعدة عظيمة بتجنيد الفرسان وتوفير الخيول للحكومة في أثناء مفسدة عام ١٨٥٧م وبقيتم مخلصين منذ بدايتها حتى هذا الحين، مما أكسبكم مكرمة عند الحكومة؛ فتُعطى لكم مِنْحة ٢٠٠ روبية اعترافا بخدماتكم الحسنة

خوشنودی سرکار ہوا۔ لہٰذا بجلد دی اس خیر خواہی و خیر سگالی کے خلعت مبلغ دوصد روپیہ کا سرکار سے آپ کو عطا ہوتا ہے اور حسب منشاء چٹھی صاحب چیف کمشنر بہادر نمبری ۵۷۶ مورخہ ۱۰ ۔ اگست ۱۸۵۸ء پروانہ ہذا باظہار خوشنودی سرکار و نیک نامی و وفاداری بنام آپ کے لکھا جاتا ہے۔

مرقومہ تاریخ ۲۰ ستمبر ۱۸۵۸ء

ومكافأة على إخلاصكم. وبرغبة من المفوض الأعلى المذكورة في رسالته رقم ٥٧٦ بتاريخ ١٨٥٨/٨/١٠م، فقد كُتبت هذه الشهادة وتُقدَّم لكم دليلا على رضا الحكومة لإخلاصكم وسمعتكم.

المحررة في: ١٨٥٨/٩/٢٠م

نسخة رسالة

المفوض المالي بنجاب

مشفق مہربان دوستان مرزا غلام قادر رئیس قادیان حفظہ

آپ کا خط ۲ ماہ حال کا لکھا ہوا ملاحظہ حضور اینجانب میں گذرا مرزا غلام مرتضیٰ صاحب آپ کے والد کی وفات سے ہم کو بہت افسوس ہوا۔ مرزا غلام مرتضیٰ سرکار انگریزی کا اچھا خیر خواہ اور وفادار رئیس تھا ہم آپ کی خاندانی لحاظ سے اسی طرح پر عزت کریں گے جس طرح تمہارے باپ وفادار کی کی جاتی تھی ہم کو کسی اچھے موقعہ کے نکلنے پر تمہارے خاندان کی بہتری اور پابجائے کا خیال رہے گا۔

المرقوم ۲۹ جون ۱۸۷۶ء

الراقم سر رابرٹ ایجرٹن صاحب بہادر

فنانشل کمشنر پنجاب

ترجمة رسالة

المفوض المالي بنجاب

صديقي العزيز غلام قادر زعيم قاديان حفظه.

لقد اطلعت على رسالتك المحررة في الثاني من الشهر الجاري، وإني آسف جدا لوفاة والدكم مرزا غلام مرتضى الذي كان عظيم التمني للخير وزعيما مخلصا للحكومة. وتقديرا لخدمات عائلتكم فإني سوف أقدركم بالاحترام نفسه الذي قُدِّر به والدكم المخلص. سوف أضع في بالي وأهتم برفاهيتكم وإعادة أملاككم عندما تسنح الفرصة.

المحررة في: ١٨٧٦/٦/٢٩م

السير روبيرت ايجرتن المفوض المالي بنجاب

مع أنه لم يصدر من المؤلف (السيد مرزا غلام أحمد) أيّ نشاط من هذا القبيل بسبب انهماكه في مجال العلم وبسبب أسلوب حياته كالدراويش، إلا أنه لم يقصّر هو أيضا في مواساة الحكومة بقدر ما كان بوسعه وبقدر ما يليق بمنصب العلماء والدراويش. إن سيف العلماء هو القلم، وسلاح الدراويش هو الدعاء، ولم يقصر المؤلف في مواساة الحكومة ونصرتها بهذين السلاحين. فقد كتب بقلمه مرارا،[١] وبكل وضوح في هذا الكتاب أيضا الذي هو عاكف ليل

[١] فيما يلي نلخص كلام المؤلف الأصلي من الجزء الثالث والرابع لهذا الكتاب يقول المؤلف في الصفحات الأولى من الجزء الثالث: "الأمور التي يجب على المسلمين إنجازها بجهدهم ومسعاهم بُغية إصلاح أحوالهم سوف تتبين لهم تلقائيا عند التدبر والتأمل ولا حاجة إلى بيانها وشرحها. ولكن من تلك الأمور هناك أمرٌ جدير بالذكر بوجه خاص وهو الذي تتوقف عليه ألطاف الحكومة الإنجليزية واهتمامها، أيْ يجب أن تكون الحكومة على ثقة كاملة أن مسلمي الهند رعاياها الأوفياء؛ لأن بعضا من الإنجليز عديمي العلم وخاصة الدكتور "هَنْتَر" الرئيس الحالي للجنة التعليم قد أصر كثيرا على ادّعائه في تأليف شهير من مؤلَّفاته أن المسلمين ليسوا ناصحين أمناء للحكومة الإنجليزية ويرون الجهاد ضد الإنجليز واجبا عليهم. مع أن فكرته هذه ستثبت باطلة وخلافا لواقع الأمر تماما للجميع عند النظر في شريعة الإسلام ولكن مما يؤسَف له أن تصرفات بعض سكان منطقة "كوهستان" والسفهاء من قليلي الأدب تؤيد هذه الفكرة. ولعل هذه المشاهد، وليدة الصدفة، أدّت إلى توطيد هذا الزعم عند الدكتور المذكور لأن مثل هذه التصرفات تصدر بين فينة وفينة من الجهلاء. ولكن لا يخفى على الباحث أن مثل هؤلاء الناس بعيدون كل البعد عن تعاليم الإسلام، بل إن إسلامهم يماثل مسيحية "مكلين". فالمعلوم أن أفعالهم هذه تصرفات شخصية وليست نتاج التزامهم بالشريعة. وبالمقابل يجب النظر إلى آلاف المسلمين الذين ظلوا ناصحين أمناء للحكومة الإنجليزية دائما بكامل الإخلاص ولا يزالون كذلك. فلم يشترك مطلقًا في المفسدة التي حدثت في عام ١٨٥٧م أي مسلم متحضِّر متأدب ومثقف وسعيد الطبع عدا بعض الجهلاء من ذوي التصرفات المشينة. بل الفقراء من المسلمين أيضا أعانوا الحكومة الإنجليزية أكثر مما كان بوسعهم. فقد اشترى والدي المرحوم من جيبه الخاص- مع قلة استطاعته- نتيجة إخلاصه وحماسه ومواساته خمسين

فرسا وقدمها للحكومة مع خمسين فارسا قويا وبارعا عونًا لها وأظهر مواساته وإخلاصه أكثر من استطاعته. أما المسلمون الذين كانوا يملكون ثروة وأملاكا فقد قاموا بخدمات عظيمة وبارزة بهذا الصدد.

والآن أعود إلى البيان أن المسلمين قد ضربوا أمثلة سامية في الإخلاص والوفاء ولكن من شقاوة المسلمين أن الدكتور المذكور قد غضّ الطرف عن نماذج وفائهم كلها وما أحلّ عند الاستنتاج تلك الخدمات المخلصة في صُغرى قياسه ولا في كبراه.

على أية حال، يجب على إخواننا المسلمين أن يؤكدوا للحكومة مجددا أنهم ناصحون أمناء لها قبل أن تتأثر من مخادعاته. ما دامت القضية واضحة في الشريعة الإسلامية ويتفق المسلمون جميعا على أن القتال أو الجهاد ضد السلطنة التي يعيشون تحت ظلها بالأمن والعافية والحرية وممتنّون لعطاياها ومننها، والتي تعِينهم حكومتها المباركة إعانة كاملة في الحقيقة على نشر الحسنة والهداية محرّم قطعا؛ فمن المؤسف جدا أن علماء الإسلام لا ينشرون مُجمعين هذه المسألة على نطاق واسع، ويهيئون بذلك لألسنة عديمي العلم وأقلامهم فرصة ليوجهوا إليهم اعتراضات من شأنها أن تسيء إلى دينهم وتضر بدنياهم بغير حق. فمن الحكمة بحسب رأيي أن تختار منظمة "أنجمن إسلامية" في لاهور وكالكوتا ومومباي وغيرها بعض المشايخ المعروفين والمعترف بهم عند معظم الناس بعلمهم وفضلهم وزهدهم وتقواهم ثم يُرسل- إلى هؤلاء المشايخ المنتخَبين لهذا الغرض بحسب القرار المذكور آنفا- أهلُ العلم المعروفون إلى حد ما في المناطق المجاروة عباراتهم الخطية الممهورة التي تحتوي على منعٍ صريحٍ من الجهاد، بحسب مقتضى الشريعة الإسلامية، ضد الحكومة الإنجليزية المربية لمسلمي الهند والمحسنة إليهم. وعندما تُجمع كل هذه الرسائل التي يمكن أن تسمَّى "رسائل علماء الهند" فلتُطبع في مطبعة بخط جميل مع العناية جيدًا بصحتها، ثم تُرسَل عشرة أو عشرون نسخة منها إلى الحكومة وتوزَّع البقية على الناس في أماكن مختلفة في البنجاب والهند وخاصة في مناطق إقليم "سرحد". صحيح أن بعض المسلمين المواسين قد كتبوا ردا على أفكار الدكتور "هنتر" ولكن الرد من قبل بضعة مسلمين لا يمكن أن يقوم مقام الرد الجماهيري قط. لا شك أن رد الجمهور سيكون قويا وذا تأثير بحيث سيؤدي إلى محو عبارات الدكتور "هنتر" الخاطئة نهائيا، وسيطَّلع جيدا بعض المسلمين غير الملمين أيضا على مبادئهم الحقة والصادقة، كما سينكشف على الحكومة الإنجليزية صفاء سريرة المسلمين ونُصحُ الرعية لها كما هو حقه. وستظل أفكار بعض من سكان

"كوهستان" القليلي الفهم تتماثل إلى الإصلاح بواسطة الوعظ والنصيحة الواردة في ذلك الكتاب.

وأخيرا أرى لزاما عليّ بيان التالي: مع أنه يجب على أهل الهند كلهم أن يعُدّوا هذه الحكومة نعمة من الله نظرا إلى أيادي السلطنة الإنجليزية البيضاء التي يحظى بها عامة الناس بواسطة هذه الحكومة وحكمتها المريحة، ويشكروه ﷻ عليها كما يشكرون نِعمه الأخرى، ولكن لو لم يستيقن مسلمو البنجاب بأن هذه الحكومة- التي هي رحمة عظيمة من الله في حقهم- نعمة عظمى لكانوا ناكري الجميل من الدرجة القصوى. عليهم أن يفكروا كيف كانوا يعيشون في حالة الألم والمعاناة قبل هذه الحكومة ثم كيف حظوا بالأمن والأمان. الحق أن هذه الحكومة بمنـــزلة بركة سماوية لهم التي بمجيئها زالت معاناتهم كلها، ونجوا من كافة أنواع الظلم والاضطهاد وتحرروا من كل ما كان يعرقلهم ويسد طريقهم بغير وجه حق. والآن ليس هناك ما يمنعنا من كسب الأعمال الصالحة أو يوقع الخلل في راحتنا. فالحقيقة أن الله الكريم الرحيم قد أرسل هذه الحكومة للمسلمين كالغيث الذي بواسطته يخضرّ غراسُ الإسلام في البنجاب كله باستمرار. والاعتراف بخيراتها إنما هو اعتراف بمنن الله تعالى في الحقيقة. الحرية التي أعطتها هذه الحكومة بديهية الثبوت بحيث يودّ من الأعماق المسلمون المظلومون من بعض البلاد الأخرى أيضا أن يهاجروا إلى هذا البلد. لا نظير على حد علمي في هذه الأيام في أيّ بلد آخر للحرية التي بها يمكننا الوعظ، في ظل حماية هذه الحكومة، لإصلاح المسلمين وإزالة بدعاتهم المختلَطة، وإقامة المناسبات التي بسببها ينشأ الحماس لدى علماء الإسلام لترويج دينهم في كنف هذه الحكومة، واستخدام الفكر والنظر في ظلها على مستوى أعلى، وتأليف الكتب بعد بحوث عميقة في تأييد الإسلام وإتمام حجته على الخصوم. وبسبب الحماية العادلة لهذه السلطنة وجد العلماء بعد مدة مديدة- وكأنها مئات السنين- فرصة ليُطلِعوا قليلي الفهم من الناس بحرية تامة على شوائب البدعات ومساوئ الشرك ومثالب عبادة المخلوق، وأن يبيِّنوا لهم صراط رسولهم ﷺ المستقيمَ. فهل يجوز الحقد على مثل هذه الحكومة التي يعيش تحت ظلها جميع المسلمين بالأمن والحرية ويعملون بفرائض دينهم كما هو حقها ويشتغلون في نشر دينهم أكثر من أيّ بلد آخر؟ حاشا وكلا، لا يجوز أبدا، ولا يمكن أن تخطر ببال شخص صالح وملتزم مثل هذه الفكرة السيئة أبدا.

أقول صدقا وحقا إنها لسلطنةٌ وحيدة اليوم في العالم كله في ظل عطفها تتحقق بعض الأهداف الإسلامية التي لا يمكن تحقيقها في البلاد الأخرى قط. لو سافرتم إلى بلاد الشيعة لوجدتموهم ساخطين على مواعظ أهل السنَّة، أما في بلاد أهل السنَّة فيخاف الشيعةُ من إظهار رأيهم. كذلك لا يستطيع المقلدون أن ينبسوا ببنت شفة في بلاد الموحِّدين والعكس صحيح. ولو رأوا بأم أعينهم بدعةً تُمارَس لما استطاعوا أن يتفوّهوا بكلمة عنها. فهذه هي السلطنة الوحيدة التي في ظل حمايتها تُظهر كل فرقة رأيها بالأمن والراحة. وهذا الأمر جدّ مفيد لأهل الحق، لأن البلد الذي لا مجال فيه للكلام ولا مجال للوعظ وإسداء النصيحة كيف يمكن أن ينتشر فيه الحق؟ البلد الأنسب لنشر الحق هو ذلك الذي يستطيع فيه أهل الحق الدعوة والتبليغ بحرية.

وليكن معلوما أيضا أن الهدف الحقيقي من وراء الجهاد الديني كان إقامة الحرية ودرء الظلم. ولم ينشب الجهاد الديني إلا ضد البلاد التي كانت حياة الوعاظ فيها في خطر عند وعظهم، أو البلاد التي كان الوعظ فيها بالأمن مستحيلا قطعا، وما كان لأحد أن يأمن ظلمَ قومه عند اختياره سبيل الحق. أما الحرية السائدة في السلطنة الإنجليزية فليست خاليةً من هذه المساوئ فقط بل تدعم وتؤيد تقدُّمَ الإسلام إلى أقصى الغايات. فيجب على المسلمين أن يقدِّروا هذه النعمة الإلهية، ويتقدموا في ظلها من حيث دينهم.

ثم يقول في الصفحات الأولى من الجزء الرابع من الكتاب:

قبل فترة وجيزة اعترض بعض من المسلمين على مقال في الجزء الثالث من شكر الحكومة الإنجليزية، وبعث البعض رسائل أيضا وكتب فيها بعضهم كلمات قاسية جدا وقالوا: لماذا رجّحتَ الحكومة الإنجليزية على حكومات أخرى؟ والحق أنه إذا كانت هناك حكومة تفوق غيرها من حيث التحضر وحسن النظام فأنّى لأحد أن يحجبها؟ الميزة- في أية حكومة كانت- تبقى ميزة بحد ذاتها، فالحكمة ضالة المؤمن... إلخ. وليكن معلوما أيضا أن الإسلام لا يتبنّى قط مبدأ أن يعيش المسلمون في كنف حكومة ويستفيدوا من أياديها البيضاء ويأكلوا في ظل حمايتها رزقهم المقسوم لهم سالمين آمنين، ويتربَّوا على نِعمها المتواترة ثم يلدغوا الحكومة نفسها كالعقرب، ولا يشكروها أدنى شكر على حسن معاملتها وإحسانها. بل علّمنا الله تعالى بواسطة رسوله الأكرم ﷺ أن نردّ الحسنة بحسنة أكبر منها ونشكر الــمُنعِم علينا، وأن نعامل مثل هذه الحكومة بكمال التعاطف وبقلب صادق كلما سنحت لنا الفرصة وأن نطيعها بالمعروف والواجب بطيب الخاطر. فكلّ ما

نهار على نشره بأن الحكومة الإنجليزية نعمة من نعم الله، وهي رحمة عظيمة، وأن هذه السلطنة بحكم بركة سماوية للمسلمين. لقد أرسل الله الرحيم هذه الحكومة كالغيث للمسلمين، وإن القتال والجهاد ضد حكومة مثلها حرام قطعا. ليس من مبادئ الإسلام أن يعيش المسلمون في كنف حكومة ويستفيدوا من أياديها البيضاء ويأكلوا في ظل حمايتها رزقهم المقسوم لهم سالمين آمنين، ويتربَّوا على نِعمها المتتالية ثم يلدغوا الحكومة نفسها كالعقرب. وقد دعا أيضا لهذه الحكومة مرارا. وفي دعائه الأخير في إعلانه المطبوع في مطبعة "رياض هند"بأمرتسر الذي طُبعت عشرون ألف نسخة وأراد توزيعها في الهند وبريطانيا قد وردت الكلمات التالية: إن قوم الإنجليز وحكومتهم المؤدبة والمتحضرة والمتعاطفة قد جعلتنا ممتنين لها بإحسانها ومعاملتها المبنية على الصدق والنزاهة ونفخت فينا حماسا قلبيا أن نتمنى لها أمنا وسلاما في الدين والدنيا لكي تستنير وجوههم البيضاء في الآخرة أيضا كما هي في الدنيا.

فنسأل الله تعالى خيرهم في الدنيا والآخرة. اللهم اهدهم وأيِّدهم بروح منك واجعل لهم حظا كثيرا في دينك.... إلخ.

وإن اتهام شخص مثله بأنه يكنّ في قلبه معارضة للحكومة الإنجليزية، والزعم عن كتابه أنه يعارضها ليس إلا إلحادا من الدرجة القصوى، وخبث الشيطان.

شكرتُ به الحكومة الإنجليزية في المقال المسجَّل في الجزء الثالث لم أشكرها به نتيجة أفكاري الشخصية بل ألزمني بذلك التأكيداتُ الكبيرة الواردة في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة الماثلة أمام عينيّ. إنه إفراط بعض إخوتنا قليلي الفهم الذي يظنّونه جُزءا من الإسلام نتيجة قصور فكرهم وبخل طبعهم.

ترجمة بيت فارسي: يا أيها الظالم إن تقديم الأعذار ليس من شيمة العشاق، فإنك تحاول أن تشوه سمعة الصالحين لغوا وعبثا.

(البراهين الأحمدية)

طُبع في "مطبعة بنجاب"، بسيالكوت

فعلى مَن يواسون الحكومة ويتبعون دين الإسلام ألا يسمعوا لمثل هذا الكلام من الحساد الهاذين وألا يسيئوا الظن بهذا الكتاب أو بمؤلفه. أما الحكومة فنحن مطمئنون من قِبلها سلفا بأنها لن تسمع مثل هذا الكلام عن المؤلف بل ستعاقب على هذا الكذب مَن يشي به إليها.

إلغاء جلسة ١٨٩٣/١٢/٢٧م

أقول متأسفا بأنه قد واجهتني بعض الأسباب التي لفتت انتباهي إلى إلغاء الجلسة هذه المرة. ولأن بعض الناس سيستغربون من ذلك ويتساءلون، ما السبب وراء هذا الإلغاء؟ أكتب فيما يلي بعضا من هذه الأسباب بإيجاز:

الأول: الغرض والهدف الحقيقي من هذه الجلسة هو أن يُحدِث أبناءُ جماعتنا في نفوسهم باللقاءات المتكررة- بوجه من الوجوه- تغييرا حتى تميل قلوبهم إلى الآخرة ميلا كاملا، وتنشأ فيها خشية الله تعالى، وأن يكونوا أسوة حسنة للآخرين في الزهد والتقوى وخشية الله والورع ورقة القلب، والحب المتبادل والأخوّة، وأن ينشأ فيهم التواضع والانكسار والصدق، وليتحمسوا للمهمات الدينية. ولكن لم يلاحَظ هذا التأثير بعد الجلسة الأولى بل تناهت إلي بعض الشكاوى في أيام الجلسة بالذات أن بعضهم يشتكون من سوء خلق بعض إخوتهم. وأن بعضهم يُبدون في هذا الجمع الحاشد سوء الخلق مع الآخرين من أجل راحة أنفسهم، وكأن الجمع نفسه أصبح فتنة لهم. وكذلك أرى أنه لم يطرأ على بعض أفراد الجماعة بعد الجلسة وإلى الآن تأثير طيب وحسن بشكل ملحوظ. وكانت المناسبة لهذه التجربة أن جماعة كبيرة من الضيوف ظلوا يأتونني بالتناوب منذ تلك الأيام إلى هذا اليوم، أي يغادر بعضهم ويأتي بعضهم الآخرون. وفي بعض الأحيان وصل عددهم إلى مائة ضيف يوميا، أو أقل من ذلك أحيانا أخرى. ولكن في بعض الأحيان لوحظ أثناء الجلسة تبادلُ الكلمات القاسية وغير اللائقة والمبنية على السخط والأطماع الشخصية بين الضيوف بسبب ضيق المكان وقلة وسائل الضيافة، كما يتشاجر ركاب القطار مثلا فيما بينهم لضيق المكان، وإذا جاء مسافر مسكين آخر مسرعا مخافة انطلاق القطار قبيل انطلاقه حاملا حقيبته لدفعوه وأغلقوا الباب في وجهه قائلين بأنه لا يوجد مكان، مع أن إيجاد المكان يكون ممكنا جدا، ولكنهم يبدون قسوة قلوبهم.

وذلك المسافر المسكين يضطر إلى أن يهيم هنا وهناك مع تذكرة السفر ولا يرحمه أحد حتى يوجد الموظفون له المكان قسرا. فعلى غرار ذلك يبدو أن هذه الجلسة أيضا قد صارت سببا لإفساد الأخلاق لدى البعض. فما لم تتيسر أسباب الضيافة كلها، وما لم يخلق الله بفضله الخاص شيئا من الرفق واللين والمواساة وعاطفة الخدمة وتحمل المشقة في أفراد جماعتنا لا يبدو عقد الجلسة من الحكمة في شيء. مع أن قلبي يتوق إلى أن يأتي المبايعون لوجه الله ويمكثوا في صحبتي ويعودوا بعد أن يُحدثوا في أنفسهم تغييرا طيبا لأن الموت يمكن أن يصيب المرء فجأة. وإن رؤيتي تنفع المبايعين. ولكن لا يراني على وجه الحقيقة إلا الذي يبحث عن الدين بالصبر ولا يبتغي إلا الدين فقط. فإن في مجيء مثل هؤلاء من أصحاب النيات الطيبة خيرا دائما، ولا يتوقف مجيئهم على جلسة فقط بل يمكنهم أن يناقشوا الأمور بمناسبات الفراغ الأخرى أيضا. وإن هذه الجلسة ليست من قبيل الاحتفالات الدنيوية وليس ضروريا عقدها بالتزام دون مبرر، بل عقدها يتوقف على صحة النية وعلى ثمار حسنة، ولا فائدة منها بدون ذلك. وما لم يتحقق ذلك، وما لم تشهد التجربة على أن هذه الفائدة الدينية حاصلة منها، وهذا هو تأثيرها على سلوك الناس وأخلاقهم فإن عقدها- بعد العلم أنها لا تؤدي إلى نتائج طيبة- ليس عبثا فقط بل معصية وضلال وبدعة شنيعة. لا أريد قطعا أن أجمع الذين بايعوني مثلما يفعل بعض أصحاب الزوايا المعاصرون بُغية إظهار شوكتهم الظاهرية، بل الغاية المتوخاة التي أسعى إلى تحقيقها هي إصلاح الخلق. وإن لم يتحقق الإصلاح من خلال أمرٍ أو نشاط بل كان مدعاة للفساد فإنني أعادي ذلك النشاط أكثر من أيّ شخص آخر على الإطلاق.

لقد ذكر لي مرارا أخي المكرم في الله المولوي نور الدين المحترم سلَّمه تعالى، بأن معظم أفراد جماعتنا لم يخلقوا إلى الآن في أنفسهم الصلاح والأدب وطيبة القلب والتقوى والحب المتبادل لوجه الله، وأرى أن كلامه هذا صحيح تماما.

لقد علمتُ أن بعض الناس يدخلون الجماعة ويبايعونني ويعاهدون عهد توبة نصوح ومع ذلك تبقى قلوبهم معوجة بحيث ينظرون إلى الفقراء من جماعتهم كالذئاب، وبسبب التكبّر لا يسلِّمون على الآخرين بوجه طليق، دع عنك أن يعاملوهم بحسن الخلق والمواساة. فأراهم سفلة وطماعين لدرجة أهم يتخاصمون على أتفه الأطماع ويأخذ بعضهم بتلابيب بعضهم، ويهاجم بعضهم بعضا على أتفه الأمور. وفي كثير من الأحيان يصل الأمر إلى السب والشتم، ويبوِّئون الضغائن في القلوب، وتحدث النقاشات الحادة على الأكل والشرب. مما لا شك فيه أن كثيرا من السعداء والنجباء أيضا موجودون في جماعتنا بل هم أكثر من مائتي شخص حتما، وهم الذين عليهم فضل الله تعالى والذين يبكون عند سماعهم النصائح ويؤْثرون العاقبة، وتترك النصائح في قلوبهم تأثيرا غريبا. ولكنني الآن في معرض ذكر ذوي القلوب المعوجة فقط وأستغرب وأقول: يا ربِّ ما هذه الحالة السائدة؟ ما هذه الجماعة التي معي؟ لماذا تنقضُّ قلوبهم إلى أطماع نفسانية؟ لماذا يضايق أخٌ أخاه ويبتغي أن يتعالى عليه؟

الحق والحق أقول: لا يؤمن أحدكم ما لم يؤْثر راحة أخيه على راحة نفسه قدر الاستطاعة. إذا كان أخ لي ينام على الأرض على ضعفه ومرضه وأنا أستأثر بالسرير لكي لا يستلقي هو عليه مع أنني أرفل في ثوب العافية والصحة، فحالتي مؤسفة جدًّا. إذا لم أنهض ولم أقدّم له سريري بدافع الحب والمواساة، ولم أوثر لنفسي الأرض فراشا، فحالتي تبعث على الرثاء. وإذا كان أخي مريضا ويعاني من الآلام، وبقيتُ نائمًا نوما هانئا، ولم أبذل جهدي لتوفير الراحة والسلوان له، فحالتي مؤسفة. وإن أحد من إخواني في الدين شدّد عليّ في الكلام مدفوعًا بثوائره النفسية، ورددتُ عليه بالمثل متعمدًا، فعلى حالتي الأسف. كلا، بل يجب أن أصبر على كلامه القاسي وأدعو له في صلواتي بكل تضرع وابتهال لأنه أخي وهو مريض روحانيا. وإذا كان أخي مغفلاً أو جاهلا، أو أخطأ بسبب سذاجته، فلا يليق بي أن أستهزئ به أو أحتدم مقطِّبا،

أو ألتمس عيوبه بسوء النية، لأن هذه كلها سبل الهلاك. لا يؤمن أحدكم إيمانا حقيقيا ما لم يكن قلبه ليّنًا، وما لم يعتبر نفسه أحقر من الجميع، وما لم يَزُل عنه كل نوع من الشعور بالـمَشيخة والكبرياء. كونُ المرء خادمَ القوم دليل على أنه مخدوم القوم، والرفقُ في الكلام مع الفقراء والمساكين والتواضع معهم علامةٌ على أنه مقبول في حضرة الله تعالى، ودفعُ السيئة بالتي هي أحسنُ مِن علامات السعادة، وكظمُ الغيظ وتجرُّعُ مرارة الكلام شجاعةٌ كبيرة.

ولكنني لا أرى أن هذه الأمور متحققة في بعض أفراد جماعتنا. ولكن يلاحَظ في بعضهم التعنّت وعدم التأدب بحيث إذا جلس أخوه على سريره بالعناد أنهضه منه بالقسوة، وإن لم ينهض قلب السرير رأسا على عقب وأسقطه على الأرض[1]، ثم لا يقصّر الثاني أيضا ويكيل له شتائم قذرة حتى يُخرج كل ما كان في جعبته. هذه هي الأمور التي ألاحظها في هذا المجمع فيحترق قلبي كمدا وتنشأ في القلب أمنية عفويا بأني لو عشتُ بين السباع لكان أهون من العيش بين بني آدم من هذا النوع. فبأي أمل في السعادة أحشد الناس للجلسة؟ إنها ليست مهرجانا كمهرجانات دنيوية. أعلم بأني ما زلت وحيدا ما عدا فئة قليلة من الرفقاءِ الذين يربو عددهم قليلاً على مائتَي شخص عليهم رحمة الله الخاصة. وعلى رأسهم صديقي المخلص والمحب المولوي الحكيم نور الدين، وبعض الإخوة الآخرين الذين أعرف أنهم على صلة الحب معي لوجه الله وينظرون إلى كلامي ونصائحي بنظر التقدير والتبجيل، ونظرهم مركَّز على الآخرة. فسيكونون معي في كِلا العالَـمين بإذن الله وأكون معهم. كيف أحسب معي أولئك الذين قلوبهم ليست معي؟ والذين لا يعرفون مَن عرفتُه ولا يرسّخون عظمته في قلوبهم، ولا يفكرون عند السخرية والسلوكات المنحرفة أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

[1] هذه الأمور هي نصيحة منا لجماعتنا العزيزة، ولا يجوز لأحد أن يشيعها بذكر اسم أحد، وإلا سيكون سالكا مسلك الإثم والفتنة أكثر من غيره. *(منه)*

يراهم. ولا يفكرون قط أنهم يأكلون سُمًّا نتيجته الحتمية هي الموت. الحق أنهم أناس لا يريدون التخلي عن سبل الشيطان.

اعلموا أن الذي لا يريد أن يسلك مسلكي فليس مني، وهو كاذب في ادّعائه ولا يريد أن يقبل مذهبي بل معجَب بمذهبه هو، فهو بعيد مني كالبُعد بين المشرق والمغرب. وهو مخطئ في زعمه أني معه. أقول مرة بعد أخرى بأن طهِّروا عيونكم وأنيروها بالروحانية كما هي منارة ظاهريا. الرؤية الظاهرية تملكها الدواب أيضا، ولكن الإنسان لا يُعَدّ بصيرا ما لم يحظ بالرؤية الباطنية أي إذا حظي بمعرفة الصالح من الطالح، ثم انجذب إلى البرّ.

فلا تلتمسوا لعيونكم بصارةً كبصارة الحيوانات فقط بل تحرّوا بصارة حقيقية. أخرِجوا من قلوبكم أوثان الدنيا لأن الدنيا تعادي الدين. ستموتون عما قريب وسترون أن النجاة كانت من نصيب الذين تبرّأوا من أهواء الدنيا، وكانوا أبرياء وأصفياء القلوب. لقد سئمتُ من تكرار القول بأنه إذا بقي حالكم على هذا المنوال فما الفرق بينكم وبين غيركم؟ ولكن هذه القلوب لا تكاد تتنبه، ولا أتوقع أيّة بصارة في هذه العيون إلا أن يشاء الله. وإنني لبريءٌ من هؤلاء الناس في الدنيا والآخرة. لو كنتُ وحيدا في فلاة لكان خيرا لي من صحبة هؤلاء القوم الذين لا يعظّمون أوامر الله ولا يبجِّلونها، ولا يرتعدون لجلاله وعزته. لو قال المرء بلسانه فقط- دون الالتزام بالصدق الحقيقي- بأني مسلم، أو اكتفى الجائع بالتفوه باسم الخبز فماذا عساه يستفيد من ذلك؟ لن يحظى هذا بالنجاة بهذه الطريقة ولن يشبع ذاك. ألا إن الله ينظر إلى القلوب؟ ألا يصل نظر ذلك العليم الحكيم العميقُ إلى كنه طبيعة الإنسان وأعماقه؟

فيا قليلي الفهم افهموا جيدا، ويا أيها الغافلون فكّروا جيدا أن الحصول على النجاة مستحيل دون الطهارة الإيمانية والأخلاقية والعملية الصادقة. والذي يعُدّ نفسه مسلما مع اتساخه بأنواع الأوساخ لا يخدع الله وإنما يخدع نفسه. ما لي ولهؤلاء الذين لا يحمِّلون أنفسهم الأوامر الدينية بصدق القلب ولا يضعون

أعناقهم تحت نير رسول الله ﷺ المقدس بصدق الطوية، ولا يختارون الصدق ولا يريدون أن يتبرّأوا من عادات الفسق ولا يتركون مجالس السخرية والاستهزاء، ولا يتخلون عن أفكار قذرة، ولا يلبسون حلّة الإنسانية والأدب والصبر واللين، بل يضايقون الفقراء ويدفعون الضعفاء، ويمشون في الأسواق مشية الخيلاء ويتربعون على الكراسي بالاستكبار، ويحسبون أنفسهم كبارا، مع أنه ما مِن كبير إلا مَن حسب نفسه صغيرا.

طوبى للذين يحسبون أنفسهم أذل وأصغر من الجميع ويتكلمون باستحياء، ويُكرمون الفقراء والمساكين، ويعظِّمون الضعفاء ولا يستهزئون شرّا واستكبارا، ويذكرون ربهم الكريم ويمشون على الأرض هونا.

فأكرر وأقول بأنهم الذين أُعِدّت لهم النجاة. أما الذي لم يخرج في هذه الدنيا من جحيم الشر والكبر والعُجب والاستكبار وعبادة الدنيا والجشع والسيئات فلن يخرج منها في الآخرة أيضا. ماذا أفعل ومن أين آتي بكلمات تؤثر في قلوب هؤلاء القوم. اللهم ارزقني كلمات وألهِمني كلاما يُلقي على قلوبهم نوره ويزيل سمومهم بتأثيره الترياقي. إن روحي تضطرب شوقا إلى أن تأتي أيامٌ أرى فيها في جماعتي أناسا بكثرة تركوا الكذب في الحقيقة، وقطعوا مع ربهم عهدا صادقا أنهم سيجتنبون كلَّ شرٍّ، وسيبتعدون كل البُعد عن الكِبر الذي هو أساس كل شرٍّ ويخافون ربهم دائما. ولكن لا أرى أشخاصا مثلهم إلا بعض الخواص فقط. صحيح أنهم يؤدون الصلوات ولكن لا يعرفون ما الصلاة. إن تعليق الآمال على السجدات الظاهرية طمع باطل ما لم يسجد القلب سجود التواضع والانكسار. كما لا ينال اللهَ لحومُ القرابين ولا دماؤها بل يناله التقوى فقط كذلك لا فائدة قط من وراء الركوع والسجود الظاهريين ما لم يركع القلب ولم يسجد ولم يقم. إن قيام القلب يعني أن يكون المرء قائما بأوامره سبحانه وتعالى، والمراد من ركوعه أن ينيب إليه عز وجل، والمراد من السجود أن يتخلى المرء عن وجوده من أجله عز وجل.

ولكن الأسف كل الأسف، لا أرى فيهم أيّ تأثير لهذا الكلام، ولكن أدعو الله تعالى وسأواظب عليه إلى أنفاسي الأخيرة أن يُطهِّر قلوب أبناء جماعتي، ويمدّ إليهم يد رحمته ويصرف قلوبهم إليه، وينـــزع منها كل أنواع الشر والحقد، ويهبهم الحب المتبادل الصادق. وإنني على يقين أن دعائي هذا سيستجاب يوما بإذن الله، وأن الله لن يضيِّع أدعيتي. وأدعو أيضا أنه إذا كان في جماعتي شقيٌّ أزلي بحسب علم الله ومشيئته، لم يُقدَّر له أن ينال الطهارة وخشية الله الصادقة فاجعلْه يا ربّي القدير منحرفا عني كانحرافه عنك، وأْتِ عوضا عنه بمَن كان قلبه ليّنا وروحه تبحث عنك.

إن حالتي هي أنني أخاف المبايع كخوف أحدكم الأسدَ، لأنني لا أريد أن يرتبط معي أحد مع كونه دودة الدنيا. فهذا أحد الأسباب وراء إلغاء الجلسة.

والسبب الثاني هو أن إمكانياتنا لا تزال ضئيلة جدا، والمخلصون الجاهزون على تقديم التضحيات بأرواحهم قلةٌ، وكثير من أعمالنا المتعلقة بنشر الكتب لا تزال عالقة بسبب قلة المخلصين. وإن تنسيق ترتيبات الجلسة الكبيرة- والحالة هذه- التي يحضرها مئات الناس من الخواص والعوام ليمكثوا إلى عدة أيام، وأن يُزوَّد الفقراء القادمون من أماكن نائية بالزاد كما في الجلسة السابقة، وضيافة مئات الناس إلى عدة أيام كما هو حقها بما فيها توفير الأسرّة وغيرها من المستلزمات لمئات الناس، وتشييد عدة بنايات لسكنهم، كل هذه الأمور ليست بوسعنا وليست بوسع أصدقائنا المخلصين أيضا حاليا. والمعلوم أن تسوية كل هذه الأمور تقتضي إنفاق آلاف الروبيات. وإذا هيّأنا كل ذلك بالاقتراض فهذا ذنب كبير أن نهمل الحاجات الدينية التي تواجهنا ونأخذ على عاتقنا نفقات لا يذكرها أحد فيما بعد ونحمّل أنفسنا دَينا كثيرا دون مبرر. وإن أمر الضيافة لا يزال يتفاقم باستمرار مع عدم عقد الجلسة، بحيث بلغ الأمر منذ عام تقريبا أن وصل عدد الضيوف إلى ثلاثين أو أربعين أو حتى مئة ضيف كل يوم، وكثير منهم فقراء ومساكين ويأتون من أماكن نائية فلا بد من تزويدهم بالزاد عند

توديعهم. وهذه العملية جارية كل يوم ويقوم بها قلبًا وروحًا أخي في الله المولوي الحكيم نور الدين. ويعطي كثيرا من الضيوف القادمين من بعيد الزادَ من عنده. فقد أعطى بعضهم حوالي ثلاثين أو أربعين روبية، أما إعطاء بضع روبيات فهذا أمر عادي. ولا يقتصر الأمر على هذه النفقات فقط بل قد أعطى في هذه الأيام لكرمه وشجاعته قرابة ثلاثمائة أو أربعمائة روبية للإنفاق على الضيافة إضافةً إلى نصرته المالية السابقة. وكذلك أخذ على عاتقه معظم نفقات طباعة الكتب لأن سلسلة طباعة الكتب أيضا جارية. فمع أننا لم نتمكن إلى الآن بسبب النفقات المذكورة آنفا- التي لا مندوحة منها- من توفير مطبعة خاصة بنا، ولكن نور الدين المحترم يقوم بأداء هذه الخدمات قلبا وروحا. كذلك بعض الإخوة الآخرين أيضا يؤدون هذه الخدمة قدر استطاعتهم. ولكن حتّامَ يمكن القيام بهذه النفقات الباهظة من دخل محدود جدا؟

فبناء على هذه الأسباب أرى إلغاء الجلسة هذه السنة مناسبا، أما في المستقبل فكما يشاء الله جلّ شأنه لأن مشيئته غالبة على إرادة الإنسان الضعيف. ولا أدري ما هو حادث في المستقبل وما هي مشيئة الله، هل تطابق ما قلتُه هنا أو في قدره أمر آخر لم أعرفه بعد؟ وأفوض أمري إلى الله وأتوكل عليه هو مولانا، نعم المولى ونعم النصير.

العبد المتواضع

غلام أحمد، قاديان

قصيدة

للعبد المتواضع رحمت علي من "برناوه"
في مدح سيدنا ومولانا ومرشدنا المسيح الموعود سلمه الله تعالى

[1]أنت منجم جواهر العلم، أنت الذي تدرك قيمة جوهرة العلم
قلبك صار كنـــز العلوم الطائلة، وبقوة قلمك فتحت أبواب العلم
العلم بجدّ ذاته يقوّي الروح، فقد جئتَ مربِّيا منمِّيا للعلم
أنت تميط اللثام عن مسك الأسرار، وتنشر عبير العلم وشذاه
صرتَ مقلة العيون، يا من له السؤدد والصدارة في العلم
أنت نور لمصباح دين أحمد (ﷺ) وأنت سراج منارة العلم ومنبره
نور الإيمان يتلألأ في جبينك، وأنت حُمرة وجهِ كلِّ مَن يحب العلم
أنت مظهر "آخرين منهم"، وأنت الأول والآخر في مجال العلم
مهمتك الإرشاد إلى سبيل الهدى، لأنك أنت الهادي إلى العلم اليوم
ارفع شأن عمامة العزّ أيها التاج الجميل على رأس العلم
لقد أخبرتَ بوفاة عيسى، الأمر الذي كان مكتوما في كتاب الله
طوبى لك لأنك جدّدتَ العلم بإكسائك إياه لباس العلم
الوعدَ الذي قطعه الله لنا في هذا الزمن
أرى في وجهك علامات تحقق ذلك الوعد، وإن كنتُ لا أدّعي كمال العلم
أنت مهدي الزمان وهادي العصر، وأنت عيسى الموعود ورسول العلم الخبيرُ
إن رقبة الدجال في يدك، وفي يدك خنجر العلم المسلول

---

[1] هذه ترجمة القصيدة بالفارسية. (المترجم)

أما العلماء فكانوا في الحجاب الأكبر من العلم

والذين كانت الهداية في نصيبهم منذ الأزل جذبتهم إلى أحضان العلم جذبا

انظر إليّ برحمة، فيا سيدي إن وجهك يقدّم مشهدا جميلا للعلم

أنا عطشان وساقط في الطريق، وأنت مَن تسقي ماء الكوثر العلمي

ناشدتك الله ألا تعرض عني لأنك نور القمر المنير للعلم

الفهارس

فهرس الآيات

الأحاديث الشريفة

الأحاديث بالمعنى

فهرس المواضيع

الاعتراضات والرد عليها

ج، ح، خ

فهارس الأسماء

فهرس الأماكن

فهرس الكتب